







الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ - الهجوم الغادر ..

وقف الضابط البورساكى ليشرف بنفسه على نقل العتاد والمؤن من أحد المواقع العسكرية التى تحت إمرته .. فى حين كانت بعض المواقع الأخرى قد أخليت تمامًا ، والبعض الآخر فى طريقه للإخلاء .

وقام الجنود باعتلاء السيارات العسكرية ، تأهبًا لنقلهم إلى ما وراء خط الهدنة ، الذى حددته لهم الأمم المتحدة .

وفى نفس الوقت كانت قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة ، تتحرك فى طريقها لاستلام المواقع التى تم إخلاؤها .

وبدا أن الهدوء والسكينة سيعمان المنطقة لأول مرة منذ عامين كاملين ، كانت خلالهما مسرحًا لأحداث معارك حربية طاحنة بين الطرفين المتقاتلين من قوات (البورساك) و (الشوركاس) .

ملحوظة : جميع شخصيات وأحداث الرواية وأسماء الدول الواردة فيها ، هى من وحى خيال المؤلف ، ولا صلة لها بالواقع ، وأى تشابه بينها وبين بعض الأحداث الحقيقية هو محض مصادفة .

ولم يعد يسمع سوى صوت محركات السيارات التى تتأهب لنقل الجنود وحركة الجنود وهم يخلون مواقعهم ، ولم يعد يسمع صوت هدير المدافع ، وطلقات الرصاص ، وانفجارات القنابل التى كانت تزلزل المكان وتملؤه ضجيجًا .

كما أن جثث الجنود التى كانت تنتشر فى المنطقة ، عقب كل معركة من تلك المعارك الدامية ، لم يعد لها وجود كما كان يحدث من قبل .

وبدا وكأن السلام سيعم ربوع هذه التلال الخضراء ، التى خضبتها الدماء خلال العامين الماضيين .

ولكن هذا التفاؤل لم يستمر طويلًا .. إذ أنه فى الوقت الذى كانت قوات (البورساك) ، تتأهب لتسليم مواقعها لقوات حفظ السلام الدولية ، كانت قوات (الشوركاس) تدبر لهجوم غادر على هذه المواقع التى فقدت استعدادها للقتال .

وقبل أن تصل طلائع قوات حفظ السلام لاستلام المواقع ، التى تم إخلاؤها . كانت قوات (الشوركاس) قد هاجمت المنطقة بأعداد كبيرة من الجنود ، وبمختلف أنواع الأسلحة .

ولم يكن جنود (البورساك) فى وضع يسمح لهم بقتال

متكافئ مع أعدائهم ، فتهاوت أعداد كبيرة منهم ، ما بين قتلى وجرحى ، إثر هذا الهجوم المفاجئ .. كما تم أسر عشرات من الجنود (البورساكين) .. ونقلهم إلى ما وراء خطوط قتال (الشوركاسين) .

وفى خلال دقائق معدودة ، كان الجنود (الشوركاسيون) قد تمكنوا من السيطرة على المنطقة ، واحتلال المواقع العسكرية التى كان يسيطر عليها (البورساك) من قبل ، والتحصن بها .. بعد أن ألحقوا خسائر فادحة بالبورساكين .

وعندما وصلت قوات حفظ السلام الدولية ، وجدت أمامها قوات معادية متحصنة تحصينًا قويًا فى مواقعها ، بدلًا من مواقع تم إخلاؤها تمهيدًا لتسليمها . وقام الجنود (الشوركاسيون) بإعطاء إشارة لسيارات الأمم المتحدة لكى تتوقف ، ولا تواصل طريقها نحو المواقع العسكرية ، فهبط قائد القوات الدولية من سيارته ليتقدم نحو المتاريس التى تم وضعها لقطع الطريق قائلًا :

ـ ما معنى هذا ؟

أجابه أحد الجنود (الشوركاسيين) ، قائلًا :

ـ هذه منطقة عسكرية تابعة للشوركاس .

نظر قائد القوات الدولية لجثث الجنود (البورساكيين) ، وقد أدرك الموقف قائلًا :

- كان من المفروض أن نقوم باستلام هذه المواقع من قوات (البورساك) ، طبقًا للاتفاقية التى تم توقيعها .

أجابه الجندى :

- ليس لى شأن بهذا .. مهمتى هى تنفيذ الأوامر .. والأوامر التى لدينا تقتضى منع اقتراب أى أشخاص أو قوات أخرى من هذه المنطقة .

سأله قائد القوات الدولية قائلًا :

- هل يمكننى أن أقابل قائدك ؟

أجابه الجندى :

- سأرى إن كان هذا ممكنًا أم لا .

وتركه متوجهًا إلى أحد الأكشاك الخشبية ليتصل لاسلكيًا بقائده ، فى حين بقى الضابط الدولى واقفًا أمام المتاريس الخشبية . وقد سُدِّدت فوهات الأسلحة التى يحملها جنود (الشوركاس) نحوه ، ونحو سيارات الأمم المتحدة فى ريبة وحذر .

وأحس الضابط الدولى بالأسى لمشهد الجثث المتناثرة من الضحايا التى تخلفت عن المعركة ، التى دارت بين الطرفين ، فقد كان من الواضح أن (البورساكيين) قد أخذوا على غرة ، وأن خسائر فادحة قد لحقت بصفوفهم ، نتيجة عدم استعدادهم القتالى ، لمواجهة هجوم (الشوركاس) .

وبعد قليل أشار الجندى لزملائه برفع المتاريس ، والسماح لقائد القوات الدولية بالعبور .

والتقى الضابط الدولى بقائد الموقع الشوركاسى الذى استقبله بشىء من الغرور والتعالى ، حيث سأله الضابط الدولى قائلًا :

- كان من المفروض أن نتسلم هذا الموقع من قوات البورساك، فى خلال الساعات الحالية .

قال له القائد الشوركاسى بنبرة متعالية :

لم يعد هذا الموقع خاضعًا لسيطرة البورساك ، وإنما أصبح تحت سيطرة القوات الشوركاسية .

قال القائد الدولى :

- ولكن هذا مخالف للاتفاقية التى وقعناها مع الطرفين .

رد القائد الشوركاسى :

- لقد خالف البورساكيون الاتفاقية أولًا ، فهاجموا أحد مواقعنا ، ولكننا تمكنا من دفعهم عنه وإن كان هذا يعنى أن الاتفاقية لم تعد قائمة بعد أن انتهكوها .

قال له الضابط الدولى باستنكار :

- ليس لدينا دليل موثق على ذلك .

رد الضابط الشوركاسى :

- لا يهم إذا كان لديك دليل أم لا .. المهم أننا قد استخدمنا حقنا فى مخالفة الاتفاقية التى انتهكها (البورساك) أولًا .

فقال القائد الدولى :

- ولكن لدى أوامر باستلام هذا الموقع من البورساكين طبقًا للاتفاقية الموقعة وعلىّ أن أنفذه .

فنظر إليه الضابط ، قائلًا :

- أنصحك بالعودة من حيث جئت ، وألا تحاول تنفيذ هذه الأوامر .

فتساءل الضابط الدولى :

- هل معنى هذا أنك ترفض التخلى عن هذه المواقع ؟

رد عليه قائلًا :

- نعم .. وعليك أن تبتعد عن هذا المكان ، أنت وقواتك الدولية ، خلال خمس دقائق من الآن ، وإلا اضطررت لأن أستخدم القوة ضدك .

أخذ الضابط الدولى يفكر برهة من الوقت ، ثم تحدث إلى الضابط الشوركاسى قائلًا :

- القوة التى معى محدودة .. ومهمتها تنحصر فى استرداد هذه المواقع من (البورساك) ، دون التصدى لمعارك حربية .. لذا فأنا لا أملك سوى العودة بقواتى من حيث جئت كما قلت .

لكنى أحذرك .. من أننى سأسجل كل ما حدث هنا .. لقد خالفتم الاتفاقية التى وقعتموها واعتديتم على جنود البورساك وهم يستعدون لإخلاء مواقعهم ، ورفضتم الامتثال للأوامر الصادرة من الأمم المتحدة ، وتسليمنا هذه المواقع .. وكل ذلك سيتم إخطار رؤسائى به ، وسوف يضع (الشوركاس) فى موقع الإدانة الدولية ويعرضكم لعقوبات شديدة من المجتمع الدولى .

وضع الضابط الشوركاسى ذراعيه حول وسطه قائلًا :

- وأنا لا أحفل بكل ذلك .. فأنا مكلف بالسيطرة على هذه المواقع . واستعادتها من (البورساكيين) ولا يعنينى شىء سوى تنفيذ الأوامر ، دون النظر لأية اعتبارات أخرى .

نظر قائد القوة الدولية إلى جثث الضحايا من (البورساكيين) قائلًا :

- وهل كان تنفيذ الأوامر ، يقتضى القيام بهذه المذبحة ، لجنود غير مستعدين للقتال ؟

ابتسم الضابط الشوركاسى بخبث ، قائلًا :

- إننا فى حرب .. وفى الحرب كل شىء مباح يا عزيزى .

انصرف الضابط الدولى وهو يودعه بنظرة احتقار ، تعبر عن كراهية لهذا الشخص وجنوده .

ولكن شخصًا آخر كان يراقب ما يحدث دون ارتياح . وسرعان ما اقترب من قائد القوات (الشوركاسية) التى استولت على المنطقة قائلًا :

ـ إن ما قاله ذلك الرجل حقيقى . فلن يمر استيلاؤنا على هذا المكان ، بالمخالفة للاتفاقية التى وقعناها دون مشاكل دولية عديدة .

قال له الضابط الشوركاسى :

ـ على كل حال لقد تصرف الرجل بحكمة ، وانصرف بقواته .. وإلا كنا قد أبدناها عن آخرها .

نظر إليه محدثه بغضب ، قائلًا :

ـ وهذا أيضًا تفكير أحمق ، لضابط لا يعرف سوى تنفيذ الأوامر ، دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى .. فما أسهل إبادة هذه القوة .. ولكن ذلك لن يفيد موقفنا فى شىء ، فضلًا عما يمكن أن يسببه لنا من المزيد من المشاكل .

قال الضابط الشوركاسى بانفعال مماثل :

ـ على كل حال ، ليس من سلطتى سوى تنفيذ الأوامر ، فهذا ما أعرفه كضابط نظامى . أما بالنسبة لأمثالكم من ضباط المخابرات الحربية ، فعليكم التصرف حيال هذه الأمور ، وحل تلك المشاكل مع المسئولين بطريقتكم .

نظر إليه ضابط المخابرات الحربية قائلًا :

ـ نعم . وهذا ما سأفعله الآن .

اتجه ضابط المخابرات الحربية الشوركاسية إلى مقر القيادة ، ليتصل بقيادته ، ويخطرهم بما حدث بوساطة اللاسلكى .

وبعد أن أنهى اتصاله اللاسلكى ، تحول إلى قائد القوة التى استولت على الموقع ، قائلًا :

ـ أعد خمسمائة رجل من قواتك لمغادرة الموقع على الفور .

سأله الضابط الشوركاسى بدهشة :

ـ لماذا ؟

أجابه ضابط المخابرات الحربية ، قائلًا :

ـ سيلتقى جنودك بمجموعة اخرى من القوات الشوركاسية فى هذا الموقع ، الذى سأحدده لك على الخريطة ، وسوف تتولى رئاستهم (أى أفراد المجموعتين) حيث يتم تقسيمهم فى أحد الممرات الجبلية ، لقوة تسيطر على شمال الممر ، وأخرى على يمينه .

نظر إليه الضابط الشوركاسى ، قائلًا :

ـ إذن فالأمر يتعلق بعمل كمين .

أجابه ضابط المخابرات الحربية :

ـ نعم .. والهدف هو إبادة هذه القوة الدولية التى

حضرت إلى هنا منذ قليل ، قبل الوصول إلى مقر قيادتها .. وبأسرع ما يمكن .

لذا ستتولى طائرات الهليكوبتر مهمة نقل الجنود ، قبل وصول القوة الدولية إلى الممر المحدد على الخريطة ، وستكون القوات الشوركاسية الأخرى جاهزة بالفعل فى موقعها ، فوق التلال المطلة على هذا الممر ، قبل وصول القوة الدولية . فالأوامر الصادرة من مقر القيادة تتطلب القضاء على هذه القوة وأسر ما يتبقى منها ، دون السماح لأى فرد منها بالوصول إلى مقر قيادتهم .

ابتسم الضابط الشوركاسى ، قائلًا :

ـ وأنا أجيد تنفيذ مثل هذه الأوامر .

قال ضابط المخابرات الحربية بلهجة قاطعة :

ـ هناك شىء آخر .. إن أفراد القوات التى ستتولى تنفيذ هذه المهمة سترتدى الملابس العسكرية الخاصة بالجنود (البورساك) .

اتسعت ابتسامة الضابط الشوركاسى ، قائلًا :

ـ فهمت .. إنك تريد أن تلصق هذه العمليـة بالبورساك .

قال ضابط المخابرات الحربية :

ـ تمامًا .

سأله الضابط الشوركاسى :

ـ إذن .. لماذا ترفض القيادة أن نسمح لبعض أفراد هذه القوة الدولية بالهرب للإعلان عن ذلك .. ما دام الهدف هو تقديم دعاية سيئة عن البورساكيين ؟

ردّ ضابط المخابرات الحربية :

ـ لأن ذلك قد لا ينطلى تمامًا على قيادة القوات الدولية .. لكننا سنسعى إلى تأكيده ، وذلك باستضافة بعض الأسرى فى معسكر خاص ، يتم إعداده بحيث يبدو كل ما فيه وكأنه ينتمى إلى البورساكيين من ضباط وجنود وعادات وتقاليد ، وبعدها نطلق هؤلاء الأسرى ، ليؤكدوا الاتهام الذى نريد أن نلصقه بالبورساكيين .

أكمل الضابط الشوركاسى ، قائلًا :

ـ وبذلك نفلت من الإدانة الدولية التى قد نتعرض لها نتيجة استيلائنا على هذا الموقع ، بعد إخلائه من البورساكيين ، وفى نفس الوقت نثير المجتمع الدولى وقوات حفظ السلام الدولية ، ضد البورساك .. يا له من تفكير ..

وابتسم ضابط المخابرات الحربية ، قائلًا :

- وهذا هو الفرق بين الشخص الذى يخطط ، وذلك الذى ينفذ الأوامر .. هل فهمت ؟

واتسعت ابتسامة الضابط الشوركاسى ، وبدا الضابطان أشبه بشيطانين من الأعماق ..

- أعماق الجحيم .

★ ★ ★



٢ - آراء دولية ..

تحدث (الأمين العام للأمم المتحدة) أمام أعضاء مجلس الأمن ، قائلًا :

- إن القوات الدولية تتعرض لمخاطر جمة ، مقابل قيامها بدورها فى إيقاف هذا الصراع ، الدائر بين دولتى (الشوركاس) و (البورساك) ، وإعادة تقسيم الحدود بين قوات الدولتين المتحاربتين .

وكما علمتم جميعًا ، فقد تعرضت مجموعة من هذه القوات لكمين من جانب قوات أحد الطرفين المتصارعين ، أدى لمقتل العديد من أفراد هذه القوات ، وأسر ثلاثة ضباط منهم .. لذا فإننى أجد صعوبة شديدة فى توفير الحماية المطلوبة ، لقوات حفظ السلام الدولية الموجودة هناك ، والتى لا يتوافر لها العدد الكافى من الجنود ، ولا الإمكانيات المطلوبة من حيث التسليح ، لمواجهة الصراع الدائر هناك ، وتنفيذ المهام التى كلفتم هذه القوات القيام بها .

وتحدث (المندوب الروسى) ، قائلًا :

- إننى أرى سحب هذه القوات فورًا ، وعدم تعريضها

لمزيد من الأخطار ، مع عقد لقاء قمة بين رئيسى الدولتين المتصارعتين ، بعد ممارسة ضغوط دولية من أجل إتمام هذا اللقاء .

وتدخل (المندوب الأمريكى) فى الحديث ، قائلًا :

ـ إن (المندوب الروسى) لا بد أنه يعرف جيدًا ، أن سحب هذه القوات من هناك ، سيؤدى إلى مذابح دموية .. خاصة مع هذا الإصرار الكامل ، الذى يبديه (الشوركاس) من أجل فرض سيطرتهم على أراضى (البورساك) .

وتحدث (المندوب الروسى) ، قائلًا :

ـ أعتقد أن (المندوب الأمريكى) غير محايد تمامًا فى انحيازه لأحد طرفى الصراع على هذا النحو .

رد عليه (المندوب الأمريكى) قائلًا فى غضب :

ـ أعتقد أنك تعرف تمامًا من هو الطرف غير المحايد فى هذه القضية .. ومن هو الطرف الذى يمد (الشوركاس) بالأسلحة سرًا ، فى حين يظهر على الملأ وكأنه يشارك المجتمع الدولى فى المساعدة على حل هذه القضية .

صاح (المندوب الروسى) ، قائلًا :

ـ إننى أحتج .. ولا أقبل هذه التلميحات مطلقًا .. إننا لا نساعد أحد الطرفين ، كما يحاول أن يوحى بذلك مندوب (الولايات المتحدة) ، ولكننا نهدف إلى حل سياسى

وواقعى .. خاصة بعد أن ثبت لنا أن تدخل قوات حفظ السلام لم يؤد إلى النتيجة الفعالة التى كنا نرجوها .

تدخل (المندوب الفرنسى) فى الحديث ، قائلًا :

ـ إننا لم نأت إلى هنا لكى نتصارع ونثير الخلافات فيما بيننا .. ولكن من أجل إيقاف هذه المذابح الدامية والمتكررة ، فى ذلك الصراع الدائر بين (الشوركاس) و (البورساك) .

إننا لسنا بحاجة لعقد لقاء قمة ، بين رئيسى الدولتين المتحاربتين ، فقد سبق وعقد هذا اللقاء بالفعل .. وانتهى الأمر إلى اتفاقيات دولية ، وقع عليها الطرفان المتحاربان ، من أجل إنهاء هذا الصراع تدريجيًا ، وتنازل كل من الدولتين عن بعض الأراضى المتصارع عليها إلى الطرف الآخر ، مع تسليمها بصفة مؤقتة إلى قوات حفظ السلام الدولية التابعة للأمم المتحدة ، لحين تسوية الأمر بصورة نهائية بين الطرفين .

وبناءً على ذلك ، قام (الأمين العام) ، بإرسال هذه القوات إلى هناك ، لممارسة دورها .. ونحن شخصيًا لنا ثلاثمائة جندى وضابط ضمن هذه القوات .. وتتعرض لنفس المخاطر التى يتعرض لها بقية الجنود والضباط الآخرين ، من جنسيات الدول المختلفة فى خضم هذه الحرب الطاحنة .

وكما أرى فإن وجهة نظر (الأمين العام) جديرة بالاعتبار .. إن هذه القوات بتسليحها المحدود ، وبوضعها الحالى ، وبعد المخاطر العديدة التى تعرضت لها ، والتى أدت إلى مقتل العشرات من أفرادها وأسر البعض ، وإصابة البعض الآخر ، دون أن نتمكن من تحديد المسئول عما تتعرض له هذه القوات من مخاطر مسئولية محددة وواضحة ، نظرًا للفوضى الناجمة عن تلك المعارك التى تدور هناك ، والتى تشبه حروب العصابات .

كما أننى أرى أن تدخل القوات الدولية ، لم يأت بنتيجة فعالة لحسم هذا الصراع ، وإنهاء تلك الحرب الوحشية .. فما زالت الحروب قائمة وما زال كل من الطرفين مترددًا فى تسليم أراضيه ، لقوات حفظ السلام الدولية . وإلقاء السلاح . لذا فإننى أرى أن نبحث عن وسيلة أخرى أكثر فعالية لوقف هذه الحرب ، وإنقاذ أرواح جنود وضباط القوات التابعة للأمم المتحدة .

وتحدث (المندوب البلجيكى) ، قائلًا :

- إننى أرى أنه لا بد من إصدار عدد من القرارات ، التى تتضمن إدانة واضحة لأحد الطرفين المتحاربين ، إزاء مخالفته للاتفاقيات الدولية ، التى تم التوقيع عليها من الدولتين ، وفرض عقوبات دولية ضد هذا الطرف .

وتحدث (المندوب الاسترالى) ، قائلًا :

- هذا أمر يصعب تنفيذه .. لأننا لا نستطيع حتى تحديد المسئولية بالنسبة لأحد الطرفين بصورة واضحة ومحددة .. فالمعارك التى تتم هناك تتم بطرق خداعية ، وتبدو الإدانة وكأنها تشمل الطرفين .

وتحدث (المندوب الروسى) ، قائلًا :

- بل الأدلة واضحة على أن (البورساك) هم الذين يخالفون تعهدهم الدولى ، بل ولا يلتزمون بتوفير الحماية التى يتعين توفيرها لقوات حفظ السلام الدولية .. بل والأكثر من ذلك أنهم هم الذين يعتدون على هذه القوات ، والدليل على ذلك الاعتداء الأخير ، الذى ثبت أنه كمين أعده (البورساك) ، وأدى لمقتل قوات حفظ السلام الدولية التى كانت فى طريقها لاستلام بعض المواقع ، التى كان يحتلها (البورساكيون) ، والتى كان يتعين عليهم تسليمها لهذه القوات وفقًا للاتفاقية الأخيرة التى وقعوها .

وتحدث (المندوب الأمريكى) ، قائلًا :

- إننا لا نستطيع أن نجزم بأن (البورساك) هم المسئولون عن الكمين الذى أودى بحياة جنود وضباط القوات الدولية .. فكما قال (المندوب الاسترالى) ، إن المعارك الدائرة هناك تتضمن بعض الوسائل الخداعية ،

التى تجعل من الصعب أن تحكم تحديد المسئولية فى مواجهة أحد الطرفين .

وعلينا ألا ننسى أن تلك المواقع ، التى كان يتعين على قوات حفظ السلام الدولية استلامها من (البورساك) ، قد أصبحت الآن تحت أيدى قوات (الشوركاس) ، نتيجة هجوم مفاجئ من تلك القوات ، وهذا أيضًا يخالف الاتفاقية الأخيرة التى تم توقيعها .

وتحدث (مندوب مصر) ، قائلًا :

- إن لدى تعليمات واضحة من حكومتى ، بمساندة أى موقف يؤدى إلى إنهاء هذه الحرب الدائرة بين الدولتين المتحاربتين .. ولن يتأتى هذا إلا إذا وقفنا موقفًا واضحًا وصريحًا ، ضد الدولة التى تخالف الاتفاقيات الدولية التى تم التوصل إليها فى ساحة هذا المجلس .. ولكى نستطيع أن نقف هذا الموقف الواضح والصريح ، يتعين علينا أن نحدد من هى الدولة التى تنتهك هذه الاتفاقيات ، وتعمل على استمرار هذه الحرب ؟

ومن هى الدولة التى تعتدى على قوات الأمم المتحدة ، التى أرسلناها للمساعدة فى إنهاء هذه الحرب الدائرة هناك ؟

إن لدينا نحن أيضًا قوة مصرية ، تشارك فى العمل

ضمن قوات الأمم المتحدة ، ويهمنا سلامة أفرادها ، بنفس القدر الذى نهتم به من أجل إنهاء هذه الحرب ، التى تهدد السلام الدولى .. وعلينا أن نتفق الآن على الخطوة التى يتعين علينا أن نتخذها لتحقيق ذلك .

وتحدث (المندوب الأمريكى) ، قائلًا :

- إننى أحيى (المندوب المصرى) على كلمته التى قالها الآن ، وأتفق معه بشأن أنه يتعين علينا أن نواجه المسئول عن مخالفة الاتفاق الدولى بشأن هذه الحرب بعقوبات رادعة .

ونحن من جانبنا نؤكد أن (الشوركاس) هم المسئولون عن ذلك .. ولدينا الأدلة التى تؤيد ذلك .. فقد سجلت الأقمار الصناعية الأمريكية تحركات لقوات (الشوركاس) فى المناطق التابعة لـ (البورساك) ، كما سجلت طائرات الاستطلاع الأمريكية ، اعتداءات القوات (الشوركاسية) على مواقع لـ (البورساكيين) كان من المفروض أن يتم تسليمها خلال الأيام القادمة لقوات حفظ السلام الدولية .

وقاطع (المندوب الروسى) كلمة (المندوب الأمريكى) ، قائلًا :

- ونحن أيضًا لدينا صور سجلتها الأقمار الصناعية ، تؤكد اعتداءات قوات (البورساك) على قوات حفظ السلام الدولية .

وتحدث (المندوب المصرى) ، قائلًا :

- على كل حال فإن الصور التى سجلتها الأقمار الصناعية ، وطائرات الاستطلاع ، تعد غير كافية لتحديد المسئول عن مخالفة الاتفاق ، الذى أسهمنا فى وضعه ، والاعتداء على قوات الأمم المتحدة .

وكما تحدث ممثل (الحكومة الاسترالية) منذ قليل ، فإن هناك وسائل خداعية تستخدم فى المعارك الدائرة بين الدولتين .. واتخاذ أحد الطرفين بعض المظاهر التى تؤدى إلى إلقاء المسئولية على الطرف الآخر ، أمر لا بد من وضعه فى الاعتبار .. مثل ارتداء الثياب العسكرية الخاصة بأحدهما لإظهاره بمظهر المعتدى .

إننى أعتقد أنه يتعين علينا اللجوء إلى وسائل أخرى ، للوصول إلى الطرف المسئول عن استمرار هذه الحرب ، والاعتداء على القوات التابعة للأمم المتحدة ، التى تم الاعتداء عليها هناك ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

- وسائل غير تقليدية .

وكان يعنى ما يقوله .

★ ★ ★

٣ - مهمة فى الجحيم ..

أخذ (ممدوح) يسبح فى أعماق المياه ، وهو يتأمل الأعشاب المرجانية الرائعة ، التى يزخر بها البحر الأحمر ، ويتأمل الأنواع المختلفة من الأسماك ، ذات الألوان المتعددة ، مسبحًا بحمد الخالق .

كان هذا هو اليوم الرابع له من أيام الإجازة ، التى حصل عليها لمدة أسبوع ، والتى يقضيها فى الغردقة .

وفى الحقيقة لقد جددت هذه الإجازة نشاطه تمامًا ، وأعادت إليه الصحة والحيوية اللتين افتقدهما خلال الأسابيع الأخيرة ، نتيجة عدم تكليفه بأى مهام جديدة ، واقتصاره على الأعمال التدريبية ، وبعض الأعمال الروتينية الأخرى ، التى كانت تثير فى نفسه الملل والتثاؤب .

وأكثر ما كان يستهويه فى الغردقة ، هو ممارسة رياضة الغوص وصيد الأسماك ، وهو من عشاق هذه الرياضة دائمًا ، ويغتنم أية فرصة لممارستها ، والاستمتاع برؤية الكنوز والأسرار الكامنة ، فى أعماق



وما لبث أن شعر بشخص ينزع عنه اسطوانة الأكسجين المثبتة على ظهره ..

المياه بالبحر الأحمر ، ولقد ظل يسبح لمدة ساعة كاملة فى أعماق الماء . ثم ما لبث أن صعد مرة أخرى ، ليطفو برأسه على سطح البحر .

وحيًا بيده أحد السائحين ، الذى كان يشاركه رياضته .. والذى عاد للغوص مرة أخرى .. فى حين سبح (ممدوح) ، متجهًا للشاطئ؛ وقد اكتفى بهذا القدر الذى حصل عليه من استكشاف أسرار الأعماق .

وما إن استقر على الشاطئ ، حتى بدأ يتخلص من ملابس الغوص . وما لبث أن شعر بشخص ينزع عنه أسطوانة الأكسيجين المثبتة على ظهره ، قائلًا :

-أرجو أن تكون قد أحضرت لنا معك وجبة شهية من أسماك البحر الأحمر .

التفت (ممدوح) إليه بدهشة ، قائلًا :

- (رفعت) .. ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

ابتسم (رفعت) ، قائلًا :

- جئت لأحصل مثلك على إجازة .. أليس لى الحق فى إجازة أيضًا ؟ أم أنك تريد أن تنفرد بجمال الطبيعة هنا وحدك ؟

نظر إليه (ممدوح) بنظرة فاحصة ، قائلًا :

- لا أعتقد أن هذا هو السبب الحقيقى وراء ملاحقتك لى هنا .

قال له (رفعت) ، وهو يتمدد فوق الرمال :

ـ صدقت ، ومع ذلك فقد انتهزتها فرصة لاستنشاق بعض الهواء العليل هنا . بعيدًا عن تلوث (القاهرة) .

قال (ممدوح) :

ـ لقد طلب منك اللواء (مراد) أن تخطرنى بقطع إجازتى هنا .. أليس كذلك ؟

قال له (رفعت) وقد بدأ يشعر باسترخاء :

ـ نعم .

استطرد (ممدوح) بلهفة :

ـ ولا بد أن ذلك من أجل تكليفى بمهمة جديدة .

ـ نعم .

واكتست ملامح (ممدوح) بالسرور ، وهو يقول له :

ـ وعلىّ أن أعدّ نفسى الآن ، وأحزم حقائبى من أجل العودة إلى (القاهرة) .

ـ نعم .

قال له (ممدوح) وكأنه تلقى نبأ سارًا ، وهو يجذبه من يده :

ـ إذن فيم الانتظار ؟ هيًا بنا .

قال له (رفعت) وهو يحجب الشمس عن عينيه بيده :

وفيم الاستعجال ؟ يمكننا العودة فى المساء .. فلم يحدد

لى اللواء (مراد) توقيتًا محددًا للعودة اليوم ، فضلًا عن أن هناك طائرة مروحية ستنقلنا إلى (القاهرة) .

قال له (ممدوح) وهو يجذبه معه إلى الفندق المطل على الشاطئ :

ـ من يمارسون مهنتنا ، عليهم أن يتعلموا دائمًا السرعة فى تلبية الأوامر .

طرق (ممدوح) الباب عدة مرات قبل أن يأذن له اللواء (مراد) بالدخول .

وما إن رآه حتى ابتسم ، قائلًا :

ـ أهلًا بك يا (ممدوح) .. إننى أرى أنك لم تضع وقتك فى الاستمتاع بإجازتك على شواطئ الغردقة .. فاللون البرونزى الذى اكتسبته من الشمس والبحر هناك ، ينم عن ذلك بوضوح .

كانت إجازة ممتعة بالفعل يا سيدى .

ـ آسف لأننا قطعناها ، ولم نسمح لك باستكمالها .

وقال (ممدوح) وقد برزت علامات الصدق فى وجهه :

ـ عملى يأتى بالنسبة لى فى المقدمة دائمًا يا فندم :

استوى اللواء (مراد) فوق مقعده ، وهو يشير لـ (ممدوح) بالجلوس قائلًا :

ـ أعرف ذلك .

ثم دخل فى الموضوع مباشرة ، وهو يستطرد قائلًا :

ـ لا بد أنك اطلعت من خلال وسائل الإعلام عن مأساة الحرب الدائرة بين (الشوركاس) و (البورساك) فى البلقان .

ـ بالطبع .. وأتمنى أن تضع هذه الحرب الطاحنة أوزارها ، بعد كل ما أدت إليه من ضحايا ومآس .

ـ ليس هذا هو رأيك وحدك . بل رأى المجتمع الدولى كله .. بأن الحرب الدائرة هناك مأساة فى جبين الإنسانية ، خاصة وأنها قائمة على أسباب عرقية ، وأحد طرفى الحرب يستعمل أقذر الوسائل ، ليحقق انتصارات رخيصة على حساب الطرف الآخر

ـ لعلك تقصد (الشوركاس) .

ـ بالطبع .. إننا نحاول أن نكون محايدين فى هذا الأمر ، لكن بعد ما توافر لدينا من حقائق ، عن الفظائع التى ارتكبها (الشوركاس) ، فى هذه الحرب ، لن نستطيع أن نبقى محايدين حتى النهاية .

كما أن هذه الحرب اللعينة بدأت تمد نيرانها نحو أبنائنا من المصريين .

نظر إليه (ممدوح) ، بدهشة قائلًا :

ـ ما الذى تعنيه سيادتك بذلك ؟

ـ أنت تعرف بالطبع أن لدينا قوة قوامها مائتين من

الضباط والجنود المصريين تشارك ضمن قوات حفظ السلام الدولية ، التى تم إرسالها إلى حدود البلدين ، للإسهام فى إيقاف الحرب ، ووضع حدود فاصلة بين المناطق المتنازع عليها .. وذلك وفقًا لقرارات الأمم المتحدة الأخيرة ، والاتفاقية التى تم توقيعها بين الطرفين .

ـ نعم أعرف ذلك

ـ لقد قامت بعض القوات التابعة لأحد الطرفين المتحاربين ، بنصب كمين لمجموعة من قوات الأمم المتحدة ، فى أثناء تأديتهم لمهمتهم ، مما ترتب عليه قتل أفراد هذه المجموعة ، وأسر البعض منهم .

ومن بين من تم أسرهم ضابط مصرى برتبة عقيد .

ووفقًا للمعلومات التى توافرت لدينا ، فإننا نستطيع أن نؤكد أن قوات (الشوركاس) هى المسئولة عن تلك العملية ، بالرغم من استخدامهم للثياب العسكرية الخاصة بـ (البورساك) .

إننا فى الحقيقة واثقون من عدم إقدام البورساكيين على هذا العمل الغادر ، لأن بيننا وبين (البورساكيين) تعاون وثيق ، وإن كنا نحرص على أن نظهر بمظهر المحايدين فى هذا الشأن .

إنهم يمتثلون لتعليمات الأمم المتحدة ، ولديهم رغبة

حقيقية فى إنهاء هذه الحرب ، وحل هذا الصراع بصورة سلمية .. وهناك قناة اتصال سرية بينهم وبين قوات حفظ السلام الدولية ، وبموافقة الأمين العام للأمم المتحدة ، تكشف من خلالها بوضوح ، أن (الشوركاسيين) هم الطرف الذى يبغى العدوان ، وإبقاء نيران الحرب مشتعلة ، حتى يتم القضاء على البورساكيين واحتلال أراضيهم .

ولكننا نستخدم الطرق الدبلوماسية ، للحيلولة دون مواصلة هذه الحرب ، ومن بينها عدم الانحياز لأحد الأطراف بصورة صريحة ، والحفاظ على مظهر الحياد بين الطرفين ، حتى لا يؤدى ذلك إلى المزيد من العدوان ، وتحدى إرادة المجتمع الدولى من جانب (الشوركاس) .

ـ ولكن لا بد من إنزال عقاب دولى ضد الطرف المعتدى .. ومواجهته بإدانة واضحة ، تجبره على التراجع عن الاستمرار فى عدوانه .

ـ لا بد لذلك من أدلة قوية تثبت ذلك .

ـ ألا يدخل ذلك ضمن صميم عمل قوات حفظ السلام الدولية ؟.. لماذا لا تقدم الدليل على عدوان (الشوركاس) وفظائعهم ، ما دامت قد استكشفت ذلك بنفسها ؟

ـ مع الأسف إن المعلومات التى قدمتها القوات الدولية ، لا تستطيع أن تجزم بمسئولية (الشوركاس) عن استمرار هذا الصراع ، ونقضهم لاتفاقيتهم الدولية .

ولا أخفى عليك .. لقد كان الضابط المصرى الذى تم أسره بوساطة قوات (الشوركاس) أحد ضباط (المخابرات الحربية) ، وكانت مهمته الرئيسية ، هى جمع الأدلة والمعلومات حول الوسائل الملتوية التى يلجأ إليها (الشوركاس) لتغطية عدوانيتهم ، واستمرارهم فى نقض اتفاق وقف إطلاق النار ، فى مناطق متعددة من البلدين .

وأعتقد أنهم كانوا يعرفون ذلك .. لذا فقد حرصوا على أسره بدلًا من قتله ، لإجباره على الإدلاء بما لديه من معلومات حول تورطهم فى هذا الشأن ، وما تم بشأن هذه المعلومات .

ـ هل يعنى هذا أنه قد يتعرض للتعذيب ؟

ـ نعم .. ولا بد أنهم سيقتلونه فى النهاية حينما يفرغون منه .

ـ إذن فمهمتى هى العمل على إنقاذ الضابط المصرى من بين أيدى (الشوركاس) ، قبل أن يفضى إليهم بما لديه ، تحت تأثير التعذيب الذى سيتعرض له .

ـ وقبل أن يفرغوا منه تمامًا ويقضوا عليه فى النهاية .

ـ ولكن هل سيادتك واثق من أنه فى معسكر (الشوركاس) ؟

ـ نعم .. بل يمكن تحديد المكان الذى احتجزوه فيه على وجه التحديد .

ـ أين ؟

ـ أفضّل ألا أخوض فى شرح هذا الأمر بنفسى .. فهذه المرة سيقتصر دورى ، على تغطية مهمة إرسالك ، كأحد الضباط المصريين العاملين ضمن أفراد القوات الدولية التابعة للأمم المتحدة ، مع تزويدك باحتياجاتك الفنية ، وهناك سيتم تكليفك بالمهمة الرئيسية بوساطة الجنرال (بيدرو) المسئول عن أنشطة المخابرات ، وأفراد الاستطلاع فى قوات حفظ السلام الدولية ، وهو الذى سيحدد لك تفصيلات هذه العملية .. ويوضح لك مخاطرها .

وحدج اللواء (مراد) (ممدوح) بنظرة فاحصة ، قبل أن يستطرد :

ـ لقد نوقشت عدة أسماء للقيام بهذه المهمة ، وتم ترشيح عدد من الأفراد طبقًا لتاريخهم السابق ، ومزاياهم الشخصية .. وذلك من بين عدد من رجال المخابرات والصاعقة والمظلات والبحرية .. وفى الحقيقة برغم ابتعادك عن كافة هذه الأسلحة الحربية ، إلا أنه تم اختيارك فى مقدمة الأسماء التى يمكن الاعتماد عليها فى أداء هذه المهمة .

ـ يشرفنى أن أكون محل التقدير على هذا النحو يا سيدى .. وأعد بأننى سأبذل كل جهدى لكى أكون عند حسن الظن .

ـ إننى واثق من ذلك يا (ممدوح) .

ثم استطرد قائلًا :

ـ والآن عليك أن تذهب إلى منزلك لتستريح ساعتين ، ثم تعد نفسك من أجل الحضور إلى الإدارة ، ومعك حقائبك تمهيدًا لتزويدك بالمعدات المطلوبة بشأن هذه المهمة ، والسفر فجر هذه الليلة إلى (البورساك) .. لكى تنضم لقوات الأمم المتحدة العاملة هناك .. المهم أن تفهم طبيعة مهمتك جيدًا ، وأن تدرك أنها ليست أبدًا بالمهمة السهلة ..

إنها مهمة خطيرة ..

خطيرة للغاية ..

* * *



٤ ـ شَـرَك المَـوت ..

توقفت السيارة الجيب التى تقل (ممدوح) أمام إحدى نقاط التفتيش العسكرية التابعة للأمم المتحدة . حيث قام الجندى المكلف بالحراسة بفحص أوراقه . ثم سمح للسيارة بالمرور .

ودخل (ممدوح) إلى مكتب القائد ، وهو يرتدى الثياب العسكرية التى تميز قوات الأمم المتحدة ، حيث أدى التحية العسكرية .

وابتسم القائد النرويجى ، قائلًا :

ـ لا داعى لذلك عندما نكون بمفردنا ، فأنا أعلم أنك لا تعمل ضمن صفوف القوات الدولية ، وأنه تم اختيارك للحضور إلى هنا ، للقيام بمهمة محددة ، تعود بعدها لبلادك .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

ـ إذا ما قدر لك النجاح فى إنجازها .

قال له (ممدوح) فى تواضع :

ـ أتمنى من الله أن يوفقنى فى تحقيق ذلك .

دعاه القائد للجلوس ، قائلًا :

ـ المهمة التى ستكلف إياها مهمة غير عادية ، ويجب أن أكون صريحًا معك ، وأخبرك بأنها قد تكلفك حياتك ؛ لأنها مهمة خطيرة للغاية .. لذا فهى بحاجة إلى متطوع لديه استعداد حقيقى للمخاطرة بحياته ، وليس إلى شخص مكلف بتنفيذ أوامر صادرة إليه .. فهل لديك هذا الاستعداد ؟

قال (ممدوح) بثقة :

ـ القيام بالمهام الانتحارية والمخاطرة بحياتى ، هو العمل الذى أقوم به دائمًا .

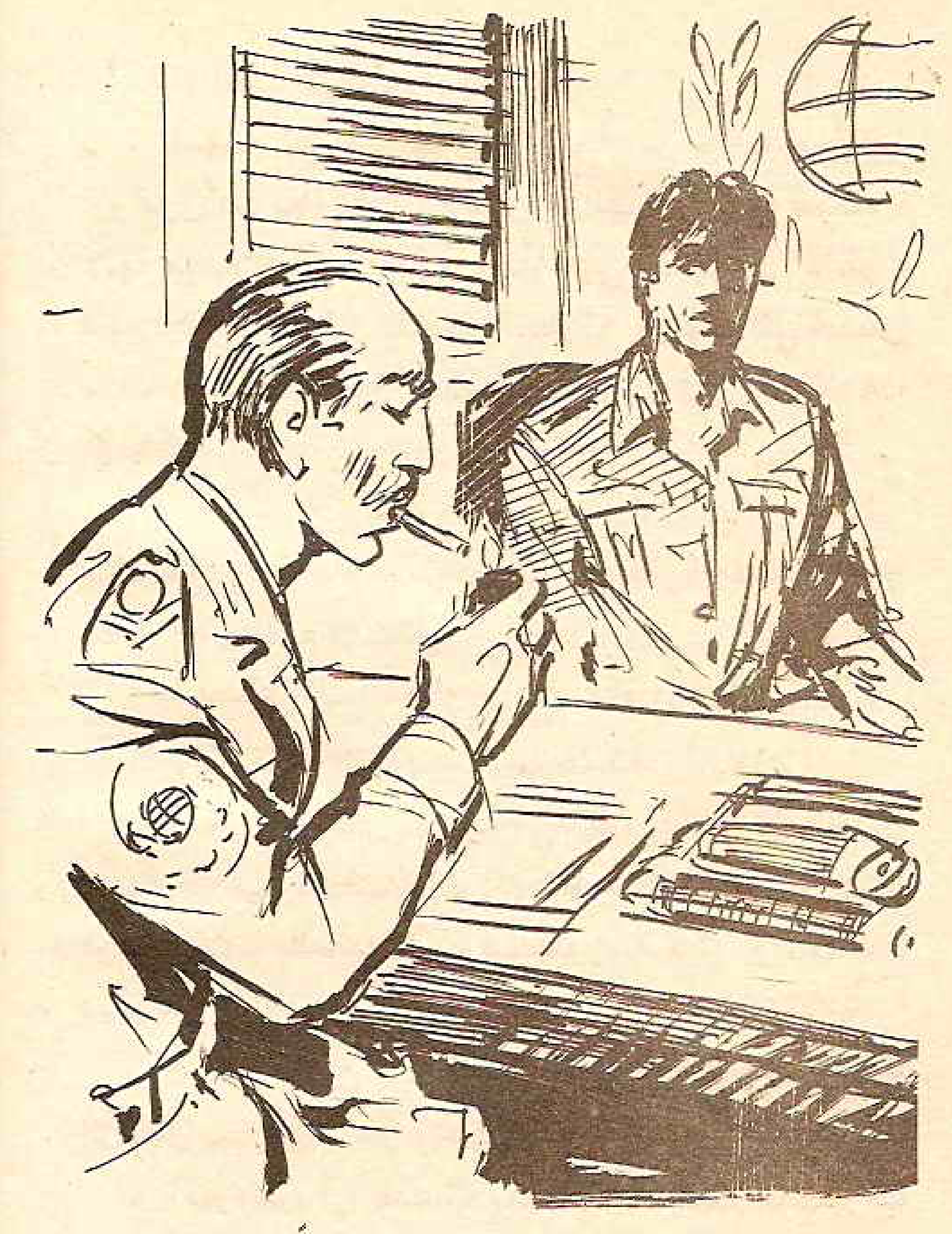
وأنا مستعد دائمًا للتطوع لمثل هذه الأعمال .

أشعل (القائد النرويجى) سيجارته ، قائلًا :

ـ حسن .. لن تكون وحدك فى القيام بهذه المهمة .. بل سيشاركك فيها شخصان آخران متطوعان مثلك ، من أفراد قوات الأمم المتحدة ، وسيعملون تحت رئـاستك ، ويلتزمون بالأوامر التى تصدرها إليهما .

ـ لا بأس ، وإن كنت أفضل غالبًا أن أقوم بمثل هذه الأعمال بمفردى .

ـ المفروض أن هذه المهمة خاصة بقسم المخابرات الحربية التابع للقوات الدولية .. وإن كنا قد استعنا بك بناءً



أشعل (القائد النرويجى) سيجارته ، قائلاً :

ـ حسن .. لن تكون وحدك فى القيام بهذه المهمة ..

عل ترشيح دولتك لك ، وبعد الاطلاع على ملفك الحافل بالعديد من المهام غير العادية ، التى قمت بتنفيذها بنجاح ، فهذا لا ينفى أننا نريد إعطاء الطابع الدولى لهذه المهمة ، وتنفيذها تحت علم الأمم المتحدة .. أى أنها مهمة خاصة بالأمم المتحدة ، وليس بالدولة التى تتبعها .

ـ إننى فى النهاية أمثل وطنى ضمن الجماعة الدولية .. كما أننى لا أستطيع إنكار أن هناك جانبًا شخصيًا فى هذه المهمة ، خاصة وأن هناك ضابطًا مصريًا أسير لدى أحد طرفى القتال .

ـ هذا بالطبع أحد عناصر مهمتك .. ولكن هناك بالطبع عناصر أخرى سنتحدث فيها معًا ، قبل أن تتحدث مع الجنرال (لوركا) ، المسئول عن هذه العملية ، والذى سيوضح لك ولزميليك الهدف الذى ستذهبون إليه جميعًا لتنفيذ هذه المهمة .

أحد زميليك ضابط جزائرى يدعى (خالد) ، والآخر ضابط ماليزى يدعى (طاغو) ، وهما مدربان على القيام بالمهام الانتحارية ، وكانا يعملان ضمن صفوف القوات الخاصة فى القوات المسلحة ببلادهما ، قبل أن ينخرطا فى صفوف القوات الدولية .

وسوف يعقد اجتماع يضم الجميع بعد ربع ساعة من الآن .

وبعد فترة قصيرة انتقل (ممدوح) والقائد النرويجى إلى قاعة اجتماعات صغيرة، تضم بضعة مقاعد متناثرة .. وقد وقف فى المواجهة الجنرال (لوركا) وهو رجل يبدو فى أوائل الخمسينات من العمر، يتميز بجسد رشيق، برغم سنوات عمره المتقدمة، وجبهة عريضة وعينين ثاقبتين.

ووراء الجنرال (لوركا) . كانت هناك خريطة كبيرة معلقة على الجدار، وقد حدد عليها أحد المواقع بدائرة حمراء، تتضمن بعض الخطوط.

وقدم القائد النرويجى (ممدوح) للجنرال الأرجنتينى (لوركا)، الذى رحب به، وبعد قليل دخل إلى القاعة شابان آخران، أحدهما أسمر الوجه طويل القامة، يتميز ببنيان قوى ورشيق، والآخر قصير القامة نحيل الجسد، ذو ملامح آسيوية . وقدم الجنرال النرويجى الشاب الأسمر لـ (ممدوح)، قائلًا :

ـ زميلك فى المهمة الضابط (خالد) .

صافحه (ممدوح) وهو يحييه .

ثم قدم له الآخر قائلًا :

ـ وزميلك الآخر الضابط (طاغو) .

صافحه (ممدوح) بدوره .. وجلس الثلاثة فى مواجهة كل من الجنرال (لوركا) وزميله النرويجى.

وتحدث الجنرال (لوركا)، قائلًا :

ـ لقد تعرض بعض جنود وضباط الأمم المتحدة لكمين عسكرى، أسفر عن خسائر عديدة فى الأرواح، وأسر ثلاثة من جنودنا . والمعلومات التى توافرت لدينا، تفيد بأن اثنين منهما قتلا فى الأسر، والثالث ما زال لدى أولئك الذين قاموا بهذا الهجوم الغادر .. وهو الضابط المصرى (مندور) . وكل الدلائل والشواهد تشير إلى أن مرتكبى هذا الكمين، هم من جنود (البورساك)، لكن لدينا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد أن الحقيقة على خلاف الظاهر، وأن (الشوركاس) هم الذين وراء هذه العملية، كما أنهم وراء العديد من المخالفات التى أدت إلى خرق اتفاقية الأمم المتحدة بين الطرفين المتقاتلين.

لذا فنحن بحاجة ماسة لإثبات ذلك .. كما أن علينا أن نسعى لتحرير ذلك الضابط من الأسر .. ليس فقط لدوافع إنسانية تتعلق بإنقاذ ضابط دولى قبل أن يلقى مصير زميليه .. ولكن أيضًا لتحديد الطرف المدان فى هذه الحرب الوحشية بصورة قاطعة تكفل تحقيق إدانة دولية له، وتطبيق عقوبات جماعية ضده.

تحدث القائد النرويجى، قائلًا :

ـ لدينا معلومات تشير إلى أن ذلك الأسير، قد وضع فى سجن داخل إحدى الثكنات العسكرية، وسط التلال الجبلية

التى تطل على غابات (بورجو) ، وبالتحديد وراء التل الصخرى المسمى بالتل الأسود .

وهى منطقة شديدة الوعورة وتتميز بتضاريس صعبة للغاية .

وأردف الجنرال (لوركا) :

- إنهم يطلقون على ذلك المكان (الحصن المنيع) وهو اسم ينطبق على المكان بالفعل كما ترون .

وتناول عصا رفيعة ومدببة ليشير إلى موقع الحصن على الخريطة ، قائلًا :

- هذا هو المكان الذى استطاعت المخابرات الحربية التابعة لقوات الأمم المتحدة ، أن تحدد وجود الأسير فيه .. كما أنه يضم أيضًا بعض الخرائط والأوراق التى توضح تورط (الشوركاس) فى خرق اتفاقيات الأمم المتحدة .

وهو المكان الذى سيتعين عليكم اختراقه ، وإنقاذ الأسير من السجن الذى أودعوه فيه ، والحصول على بعض هذه الأوراق والخرائط التى تدين (الشوركاس) من داخله .

وقال الضابط النرويجى :

- المهمة كما ترون تعد غاية فى الصعوبة ، ونسبة النجاح فيها ضئيلة ، لذا فقد اخترنا لها أفضل العناصر ، بعد تحريات وفحص دقيق واستشارات متأنية .

ولكنى ما زلت أقول إنها مهمة تطوعية .. وإذا أراد أحد منكم أن ينسحب منها فليس عليه سوى أن يرفع يده ليبعد بعدها خارج هذه المهمة .

ونظر كل من الجنرال (لوركا) ومساعده النرويجى إلى الحاضرين .

وكذلك تلفت (ممدوح) إلى زميليه .. ثم تحدث إليهما قائلًا :

- لا أعتقد أنه يوجد بيننا من يرغب فى الانسحاب .. قط .

★ ★ ★

كان الطقس بالغ السوء .. فالرياح شديدة ، والأمطار تنهمر بغزارة ، والأمواج فى البحر هادرة .

ووسط هذا المناخ السيئ ، بدا القارب المطاطى الذى استقله (ممدوح) ورفيقاه ، ومعهما أحد ضباط المخابرات العسكرية التابعة لقوات الأمم المتحدة . وكأنه لعبة صغيرة تتقاذفها الأمواج .

وبذل الرجال مجهودًا كبيرًا للحفاظ على توازنهم فوق القارب ، الذى يتراقص وسط المياه الهادرة والرياح الثائرة .. وبدا وكأنه يوشك على أن ينقلب بهم . لولا تشبثهم بحوافه .

وقال الضابط المكلف بنقلهم :

ـ أرى أن الأمر سيكون بالغ الصعوبة بالنسبة لكم ، وسط هذا المناخ القاسى ، ولا بد من عودتكم إلى السفينة .

قال له (ممدوح) :

ـ بل أرى أن هذا الطقس سيخدمنا فى مهمتنا ، فلا بد أن جنود الحراسة المكلفين بمراقبة الشاطئ منشغلون الآن بحماية أنفسهم من ضراوة هذا المناخ ، ولن يكونوا فى يقظة تامة لمراقبة نزولنا إلى الشاطئ .

قال (الضابط الجزائرى) :

ـ وأنا أيضًا رأيى كرأى المقدم (ممدوح) ، فعلينا أن نستغل هذا المناخ لصالحنا .

قال ضابط المخابرات العسكرية :

ـ ولكن نزولكم إلى المياه وسط هذا الطقس السيئ ، قد يعرضكم لخطر بالغ ، وقد تلقى بكم الأمواج نحو الصخور فتتحطم أجسادكم .

قال (ممدوح) بلهجة حاسمة :

ـ علينا ألا نبدأ مهمتنا بالاستسلام للمخاوف .. إننا سنهبط إلى المياه الآن ، ولن نعود إلى السفينة .

قال ضابط المخابرات العسكرية باستسلام :

ـ كما ترون .

وقام (ممدوح) ورفيقاه بفتح سوست لأسماك كاوتشوكية ضخمة ، تشبه فى مظهرها الأسماك الحقيقية ، وإن كانت مزودة بعيون تلسكوبية ، ومحركات صغيرة بداخلها لا تحدث صوتًا .

ودخل (ممدوح) وزميلاه إلى قاع الأسماك الثلاث المجوفة حيث جذبوا تلك السوست لتنغلق عليهم ، وقد انكفأ كل منهم على وجهه بداخلها ، ثم قام ضابط المخابرات الحربية بإلقاء الأسماك فى المياه . الواحدة تلو الأخرى .

وقام الرجال الثلاثة بإدارة المحركات لتندفع الأسماك نحو الشاطئ بلا ضجيج .

ووجد (ممدوح) ورفيقاه صعوبة بالغة ، فى الحفاظ على توازنهم وسط هذه المياه الثائرة ، التى أخذت تتلاعب بالأسماك الكاوتشوكية ، التى يختبئون بداخلها ، وتقذفهم يمينًا ويسارًا ، على نحو صعب عليهم تفاديه ، مع ضعف وصغر المحركات التى يستخدمونها .

بينما كان ضابط المخابرات العسكرية يبذل أقصى جهده ، للعودة بقاربه المطاطى إلى السفينة .

وبعد مجهود شاق وصراع مع الأمواج ، وصلت السمكة التى تحمل (ممدوح) ، إلى الشاطئ حيث انحشرت بين كتلتين صخريتين .

وقام (ممدوح) بفتح السوستة الموجودة فى بطن السمكة الكاوتشوكية . ثم انزلق منها بعد أن أعاد تشغيل محركها وتوجيهه فى الاتجاه المضاد حتى لا يعثر عليها أحد .

واحتمى بالكتلتين الصخريتين ، يترقب وصول السمكتين اللتين تقلان زميليه .

وما لبث أن خفق قلبه بشدة ، عندما لمح إحداهما وهى ترتطم بإحدى الصخور بشدة ، ظن معها أن حافة الصخرة المدببة قد اخترقت جسم السمكة الكاوتشوكى ، وأصابت رفيقه .

لكنه تنفس الصعداء ، عندما رآه يفتح السوستة بدوره ، ليندفع سابحًا من داخلها ، ثم يعيد دفعها فى الماء إلى الاتجاه المضاد .

أما الثالث فقد كان حظه أفضل ، حيث قذفت به الأمواج فوق بقعة آمنة على الرمال .. وقام بدوره بالتحرر من سمكته الزائفة ، وإطلاقها فى الماء .

وقاوم (ممدوح) الرياح الشديدة ، حيث تمكن من الوصول إلى الشاطئ ليجتمع بزميليه .. وقال لهما وهو يستل مسدسه ، ويفتح عينيه بصعوبة ليقاوم اندفاع الرياح :

ـ فليأخذ كل منكما حذره .. كونا مستعدين لأى مواجهة .

قال له الماليزى (طاغو) :

ـ أعتقد أن نظريتك صحيحة ، بالنسبة لوجود حراسة مسلحة على الشاطئ ، فقد جعلتهم الرياح القوية يختبئون كالفئران فى الجحور .

قال له (ممدوح) وهو يرفع صوته عاليًا ليعلو على صرير الرياح :

ـ لا تعتمد على ذلك .. وكن متأهبًا بسلاحك .. فـ (الشوركاس) فى حالة حرب ، ولا يمكن أن يتهاونوا فى تأمين حدودهم إلى هذا الحد .

وتقدم (ممدوح) الرجلين وهو يقاوم دفع الرياح لجسده .. وقد فتح عينيه بصعوبة ليستكشف الطريق أمامه .

وما لبثوا أن تقدموا بين الأشجار الكثيفة المطلة على الشاطئ ، والتى كانت تهتز بشدة من قوة الرياح .

وأحس (طاغو) بشىء يتحرك بسرعة تحت قدميه .. فصوب سلاحه سريعًا نحو الأرض ، وهو يهم بإطلاق الرصاص .

لكن (ممدوح) أمسك بساعده سريعًا ، ليحول بينه وبين ذلك قائلًا :

- كن هادئًا .. إنه مجرد حيوان برى صغير .

وتقدمهما (طاغو) قائلًا :

- لقد بدأت أشعر بشىء من التوتر .

وما إن أنهى جملته حتى مادت الأرض تحت قدميه .. ووجد نصفه الأسفل يغوص داخل أرض طينية موحلة .. فى اللحظة التى اندفعت فيها حربتان حادتان من جذعى شجرتين عن يمينه وعن يساره .. لتنغرس إحداهما فى عنقه .. فى حين انغرست الأخرى بين ضلوعه .

وشهق الماليزى شهقة قوية .. وقد جحظت عيناه ليلقى مصرعه فى الحال ، فى حين حال (ممدوح) بين زميله الجزائرى ، وبين التقدم إلى الأمام بذراعه ، قائلًا :

- إنه شَرَك .. قف مكانك .

نظر (خالد) إلى زميله الذى لقى مصرعه قائلًا بانفعال :

- يا لها من ميتة بشعة .. إن هؤلاء القوم لا يعدمون الوسيلة للفتك بأعدائهم .

ونظر (ممدوح) إلى (طاغو) بأسى ، قائلًا :

- نعم .. هذا واضح تمامًا ..

كان من الواضح أن هذا المكان يحمل إليهما الخطـر .. كل الخطـر ..

★ ★ ★

٥ ـ لحظات الخطر ..

أسهم (ممدوح) فى دفن زميله ، ثم التفت إلى رفيقه الآخر قائلًا :

- علينا أن نكون الآن أكثر حذرًا .

وتناول كل منهما بندقيته الآلية ، وأخذا يدفعان بمؤخرتها أمامهما على الأرض قبل أن تطأها أقدامهما ، خوفًا من وجود شَرَاك أخرى .

وبالفعل تحقق ظن (ممدوح) .. إذ سرعان ما أطبق حدّا حربتين على جسم البندقية المعدنى التى كان يحملها فى أثناء اختراقه للأحراش .

وخلص (ممدوح) بندقيته من الحربتين المدببتين ، قائلًا لزميله :

- أعتقد أنه هناك ما هو أكثر من ذلك .

قال له (خالد) :

أتعنى شَرَاكًا أخرى ؟

- نعم .. ولكن من نوع أكثر خطورة .. نوع يحدث دويًا ، ويحول المرء إلى أشلاء ممزقة .

نظر إليه (خالد) بقلق قائلًا :

ـ أتظن أنهم قد زرعوا ألغامًا فى هذه الأدغال ؟

قال له (ممدوح) وهو يتلفت حوله :

ـ هذا أمر يجب أن نضعه فى اعتبارنا .

قال له (خالد) وقد ازداد خوفه :

ـ ولكن هذا يعنى أننا قد نواجه خطرًا داهمًا .. فأية ضغطة بسيطة بمؤخرة البندقية الآلية على لغم مختفٍ بين هذه الأحراش الموحشة ، سيؤدى إلى انفجاره فى أجسادنا ، وتحولها إلى أشلاء كما قلت .

وضع (ممدوح) يده فى جيب سترته ، ليخرج منها علبة معدنية صغيرة قائلًا :

ـ لدينا الوسائل للتعامل مع ذلك النوع من الأخطار .

وفتح العلبة ليتناول منها جهازًا فى حجم القداحة .. ثم ضغط بإصبعه على زر صغير فيه ، فأصدر أزيزًا خافتًا ومتقطعًا . وقد أضيئت فى إحدى حوافه لمبة صغيرة خضراء .

وأمسكه (ممدوح) بين إصبعيه بعد أن نزع أنبوبًا صغيرًا منه ، احتفظ به فى يده الأخرى .

وضغط على زر فى مؤخرة الأنبوب ، فصدر منه شعاع أخضر خافت ، وجهه نحو الجهاز الصغير ، بعد أن تركه

يفلت من أصابعه .. وحلق الجهاز فى الهواء أمامهما ، وقد أخذ (ممدوح) يوجهه بوساطة الشعاع الخافت الصادر من الأنبوب الذى انتزعه منه .

واستمر (ممدوح) ورفيقه يدفعان بمؤخرة بندقيتيهما الآليتين ، على إثر تحليق الجهاز الصغير ذى الأزيز المتقطع ، فوق الأرض العشبية التى يضغطان عليها ببندقيتيهما ، وتعرض (خالد) لشَرَك آخر من تلك الشَرَاك ذات الحراب ، التى أطبقت على بندقيته .

وتصبب عرقًا ، وهو يقول :

ـ إننى أستغرب ، كيف يتسنى لهم أن يمروا من بين هذه الشَرَاك ، خلال خوضهم لتلك الأحراش ذهابًا وعودة ؟

قال له (ممدوح) بثبات :

ـ لا بد أن لديهم خريطة موضحة لتلك الشَرَاك .

وبعد مسيرة عشر دقائق ، تحول الأزيز المتقطع فى الجهاز الصغير الذى أطلقه ، إلى أزيز متصل ، كما تبدل ضوء اللمبة الصغيرة من اللون الأخضر إلى اللون الأحمر ، وهو يحلق فوق جزء من الأرض العشبية .

وأشار (ممدوح) إلى ذلك الجزء من الأرض ، الذى يحلق فوقه الجهاز قائلًا :

ـ لقد كان ظنى فى محله .. يوجد لغم فوق ذلك الجزء ،



نظر الشاب فى فزع إلى اللغم ، وقد تخيل الميتة البشعة التى كانت تنتظرهما ..

الذى يحلق فوقه الجهاز ، وأخذ يزيح بطرف بندقيته الأعشاب المحيطة بذلك المكان ، قائلًا :

- انظـر .

نظر الشاب فى فزع إلى اللغم ، وقد تخيل الميتة البشعة التى كانت تنتظرهما ، قائلًا :

- لقد أنقذنا ذلك الجهاز من الموت .. حمدًا لله على أنك كنت بعيد النظر .

قال (ممدوح) وهو يخطو بقدميه بعيدًا عن اللغم :

- أعتقد أن هذه لن تكون هى آخر المفاجآت التى تنتظرنا .

وما إن تقدما قليلًا على مسافة ثلاثة أمتار من اللغم ، حتى تحركت أفرع الأشجار المحيطة بهما .. ووجدوا أنفسهم محاصرين بأربعة من الجنود المسلحين ، وقد شهروا أسلحتهم فى مواجهتهما .

وابتسم (ممدوح) قائلًا لرفيقه :

- ألم أقل لك ؟

صاح أحد الجنود بصوت أجش :

- ألقوا بأسلحتكما وارفعا أيديكما عاليًا .

وحملق أحدهم فى الجهاز الصغير ، الذى يحلق فى الهواء ، قائلًا :

- ما هذا ؟

قال له (ممدوح) بهدوء :

- إنها نوع من القنابل المتطورة تكنولوجيًا ، ويمكن لها أن تنفجر فى الحال لو ألقيت بجهاز التوجيه الذى أحمله هنا على الأرض ، أو أطحت به بعيدًا .

نظر الجنود إلى الجهاز الصغير الذى يصدر ذلك الأزيز المتقطع ، وإلى (ممدوح) فى شك وارتياب .

وهتف أحدهم :

- أعطنى هذا الجهاز .

قال له (ممدوح) :

- وهل تتحمل مسئولية ما يحدث ؟

صاح الجندى :

- لن يحدث شىء .. فالأمر لا يخلو من الخداع .

قال له (ممدوح) وهو يقدم الأنبوب الذى يحمله :

- حسن .. خذه لو أردت .

وبدت على الرجل ملامح الخوف والتردد .. وهو يمد له يدًا مرتعشة .. ثم ما لبث أن تراجع عن تناول الأنبوب ، قائلًا لـ (ممدوح) :

- أوقف هذا الجهاز عن العمل .. ودع هذا الأزيز يتوقف .

أبدى (ممدوح) موافقته على ذلك .. لكنه عمد إلى تحريك الأنبوب فى يده سريعًا ، ليتحرك معه الإشعاع الموجه للجهاز الطائر فيصطدم بوجه محدثه بقوة . وارتبك الرجل ، وقد انتابه الفزع من هذا الاصطدام المفاجئ للجهاز بوجهه . وقد تصور أنه سينفجر فى الحال .. وكذلك زملاؤه ، الذين اندفع بعضهم ليلقى بنفسه على الأرض .

فانتهز (ممدوح) هذا الارتباك ليلتقط بندقيته الآلية ، التى أسقطها على الأرض أسفل قدميه ، فى حركة سريعة مفاجئة .. وهو يصرخ فى زميله قائلًا :

- (خالد) .. التقط سلاحك .

وأطلق (ممدوح) وزميله طلقات رصاصهم على الجنود الأربعة ، وقد بدأ بعضهم يتخلص من المفاجأة ويتبادل معهم إطلاق الرصاص .

وفى خلال دقيقتين كان الموقف قد حسم لصالح (ممدوح) وزميله ، اللذين نجحا فى كسب المعركة .. والتخلص من أعدائهم .

ونظر (ممدوح) إلى زميله ، قائلًا :

- هل أصبت ؟

قال له (خالد) وهو يشير إلى يده :

- خدش بسيط .

- أعتقد أن معنا المعدات الطبية اللازمة لمداواته .. ثم نستأنف طريقنا بعد ذلك .

نظر (خالد) إلى (ممدوح) بإعجاب ، وهو يلف الضمادات على يده قائلًا :

- لقد عالجت الموقف بسرعة بديهة ومهارة غير عادية .

قال له (ممدوح) وهو يتأهب لمواصلة السير :

- عليك أن تستفيد دائمًا من عامل المفاجأة فى مواجهة مثل هذه المواقف الصعبة .

وبعد مسيرة قصيرة وصلا إلى أحد المواقع ، حيث تناول (خالد) صفارة صغيرة من جيبه ، وأخذ ينفخ فيها مصدرًا صفيرًا خاصًا ذا لحن مميز .

وعلى الفور برز لهم من وراء الأشجار أحد الأشخاص .. وهو يحمل فى يده مدفعًا آليًا ، حيث هتف بهما قائلًا ، وهو يصوب إليهما فوهة مدفعه :

- من أنتما ؟

قال (ممدوح) وهو يبرز إشارة الأمم المتحدة :

- إننا فرسان العدل .

ظل الرجل ينظر إليهما متشككًا ، فقال له (ممدوح) :

- ماذا بك ؟ أليست هذه كلمة السر المتفق عليها ؟

قال له الرجل :

- نعم إنها هى .. ولكنهم أخبرونى أنكم ثلاثة أفراد .

قال (خالد) :

- لقد فقدنا زميلنا الثالث .

وخفض الرجل سلاحه ، قائلًا :

- هل اعترض جنود (الشوركاس) طريقكم ؟

أجابه (ممدوح) :

- نعم .. وقضوا على زميلنا بوساطة أحد شِرَاكهم الخداعية .

وتقدمهما الرجل قائلًا :

- أتبعانى .

واخترق مجموعة من الأشجار الكثيفة المتشابكة ، وفى إثره (ممدوح) و (خالد) ، حيث قادهما إلى أحد المخابئ المغطاة بأوراق الأشجار .. وهناك كان يوجد شخص آخر رحب بهما ، ثم قدم لهما بعض الثياب العسكرية الخاصة بـ (الشوركاس) قائلًا لـ (ممدوح) :

- هذه الثياب ستجعلكما تبدوان وكأنكما ضابطين فى الجيش الشوركاسى .

أجابه (ممدوح) قائلًا :

- نعم .

قال له الرجل بارتياح ، وهو يشير إلى زميله :

- عظيم .. سيصحبكما (رادوفيش) إلى أحد المواقع القريبة التى ستمكنكما من التسلل إلى المدينة العسكرية ، التى يسيطر عليها (الشوركاسيون) ، والتى توجد بها ثكناتهم .

واصطحب الرجل (ممدوح) ورفيقه إلى أحد المواقع المحاطة بالأشجار ، حيث أشار لهما بأن يتبعاه فى الدخول إلى مغارة جبلية مغطاة بالأشجار .

وفى الداخل قام الرجل بانتزاع غطاء من فوق الأرض العشبية ، كان مغطى بدوره بالعشب الأخضر ، بحيث لا يمكن تمييزه إلا بالعين الفاحصة .

وهبط الرجل داخل السرداب الأرضى ، وهو يشير لـ (ممدوح) وزميله لكى يتبعاه مرة أخرى .

وسار الجميع عبر السرداب الأرضى المظلم مسافة قصيرة .. حيث أشار الرجل إلى غطاء آخر فوق رءوسهم قائلًا :

- عندما تصعدان إلى أعلى ستصبحان داخل مدينة (الشوركاس) العسكرية .

ومهمتى معكما تنتهى هنا .. ويمكنكما استخدام السرداب فى طريق العودة .

لكننا لن نكون موجودين فى نفس المكان .. إذ إن وجودنا داخل حدود (الشوركاس) على هذا النحو يعرضنا لخطر شديد .

صافحه (ممدوح) قائلًا :

- أشكركما على ما قدمتماه من مساعدة .

دفع الرجل الغطاء إلى أعلى ، حيث تسلل (ممدوح) يتبعه (خالد) صاعدين إلى سطح الأرض مرة أخرى .

وما إن استقرا فوق سطح الأرض ، حتى أخذ (ممدوح) يتطلع إلى الأسلاك الشائكة ، وخيام الجنود ، والكبارى العسكرية الممتدة أمامه ، قائلًا :

- ها نحن قد أصبحنا فى مدينة (الشوركاس) العسكرية .

وتناول الخريطة العسكرية من جيبه لينظر إليها قائلًا :

- والآن علينا أن نلقى نظرة أخيرة على هذه الخريطة ، لكى نحدد طريقنا إلى حصنهم المنيع قبل أن نمزقها ، ونتأهب لاختراق هذا الحصن .

ألقى (خالد) نظرة على الخريطة مع (ممدوح) ، ثم أشار إلى إحدى الجهات قائلًا :

- أعتقد أنه يتعين علينا أن نسير فى هذا الاتجاه .

قال (ممدوح) وهو ينظر إلى الجهة التى أشار إليها زميله ، قائلًا :

- نعم .. ولكن علينا أن نكون أكثر حذرًا منذ الآن .. فلعلهم يعرفون الآن بخبر مصرع أولئك الجنود الذين نصبوا لنا الكمين داخل الأحراش ، بوساطة إحدى دورياتهم المسلحة .

وهذا يعنى أنهم قد أصبحوا يعلمون بأمر وجودنا داخل حدودهم ، مما يجعلهم يعدون العدة لاستقبالنا .

ثم أخرج قداحته ليشعل النار فى الخريطة ، قائلًا :

- هذا سيبعد عنا الشبهات إلى حد ما لو تأزمت الأمور .

ثم ضرب بيده على كتف زميله ، قائلًا :

- والآن هيًا بنا .

سار (ممدوح) وزميله داخل أرجاء المدينة العسكرية ، فى الجهة التى تؤدى إلى الحصن ، الذى أودع فيه الضابط المصرى .

والتقيا فى طريقهما ببعض الجنود والضباط الذين أدوا لهما التحية العسكرية .. فردا عليها بالمثل .

ونظر (خالد) إلى أحد المتاريس العسكرية ، التى تعترض طريقهما على مسافة أربعة أمتار ، قائلًا لـ (ممدوح) :

- أعتقد أنه سيتعين علينا الآن أن نبرز الأوراق العسكرية الزائفة ، التى زودنا بها هذان الرجلان فى الأدغال .. أدعوا الله أن يكونا قد أحسنا تقليدها وإلا انكشف أمرنا مبكرًا .

قال (ممدوح) بصوت خافت ، وهو يتطلع إلى الجنود الذين يقومون بفحص الأوراق العسكرية :

- كن مستعدًا لكافة الاحتمالات .

همس له (خالد) :

- أعتقد أن إجادتى للغة (الشوركاس) ليست بالقدر الجيد فيما لو حاول أولئك الجنود الحصول على بعض الاستفسارات .

قال (ممدوح) :

- دع الأمر لى .. فأنا أجيد لغتهم على نحو يكفل لى التعامل مع أسئلتهم ، فيما لو فكروا فى طرح الأسئلة .

واقترب من المتاريس الحديدية فى ثقة واستعلاء ، يليق بضابط شوركاسى كبير ، وبجانبه (خالد) . حيث أدى له الجنديان الواقفان بجوار المتاريس التحية العسكرية .

وسألهما أحدهما قائلًا :

- هل تسمحان بإطلاعنا على الأوراق الخاصة بإثبات الشخصية ؟

قدم له (ممدوح) و (خالد) أوراقهما .. وتناول (ممدوح) سيجارًا من جيبه ليشعله فى هدوء .

وحدق الجندى فى الأوراق .. ثم تطلَع إلى (ممدوح) ورفيقه لبرهة من الوقت ، ثم انتحى بزميله جانبًا ، وهو يهمس له ببضع كلمات ، ووضع (ممدوح) يده فى جيب سترته ليضع أصبعه على زناد مسدسه ، وقد أحس بالخطر . ونظر إلى (خالد) نظرة ذات مغزى ..

نظرة تعنى أن عليه أن يتأهَّب لمواجهة الخطر .

★ ★ ★



٦ ـ فى فم الأسد ..

مرَت لحظات ، قبل أن يعود إليهما الجندى ، قائلًا :

ـ معذرة .. ولكن هل حضراتكما من ضباط حصن (كوفو) ؟

قال له (ممدوح) بثبات :

ـ نعم .

قال الجندى :

ـ توجد سيارة عسكرية تتأهب للذهاب إلى هناك .. لو أردتما أن تقلكما إلى الحصن ، يمكننا أن نطلب من السائق الانتظار حتى يقلكما إليه .

تنفس (ممدوح) الصعداء ، لأن الجندى لم يشك فى أمرهما .. وقال له وهو يلقى بسيجاره على الأرض ليطأه بقدمه :

ـ لا مانع .. فى الحقيقة لقد تعطلت سيارتنا فى الطريق ، وكنا ننوى أن نستقل أى سيارة تقابلنا .

قال زميل الجندى :

ـ تفضلا معى .. سأتحدث إلى السائق .

همس (خالد) لـ (ممدوح) :

ـ ظننت أن أمرنا قد انكشف .

ردّ (ممدوح) :

ـ وقد أعددت نفسى لمواجهة مسلحة .

قال (خالد) :

ـ ولكن ركوبنا فى سيارة عسكرية ، يقودها أحد جنود الحصن .. ألا ترى أنه ينطوى على قدر كبير من المخاطرة ؟.. فلا بد أن هذا الجندى يعرف الكثير عن ضباط الحصن ، ولا بد أنه سيلحظ أننا لسنا من ضباط الحصن .

أجابه (ممدوح) :

ـ علينا أن نقبل المخاطرة .. أولًا : لأن هذا سيسهل لنا مهمة دخول الحصن دون عوائق كبيرة .. ثانيًا : حتى لا نثير ارتياب جنود نقطة التفتيش .. ثم إننا نستطيع أن نتظاهر بأنه قد تم نقلنا إلى هذا الحصن حديثًا لو تأزمت الأمور .. ولا تنس أن احترام الضباط ورهبتهم فى نفس الجنود ستحول بينهم وبين التحديق فى وجوهنا ، أو إبداء الكثير من الملاحظات .

وبالفعل استقل (ممدوح) و (خالد) السيارة العسكرية وهما يجلسان فى المقعد الخلفى بعظمة وكبرياء ، يليقان بضابطين من الرتب الكبيرة .. فى حين انطلق السائق الجندى بها عبر الطريق المؤدى إلى الحصن .

وسألهما فى الطريق :

ـ فى أى نقطة من الحصن تريدان أن أوصلكما يا فندم ؟

وبدا السؤال مباغتًا بالنسبة لـ (ممدوح) و (خالد) .. فهما لا يعرفان شيئًا عن نقاط الحصن التى ذكرها .

ولكن (ممدوح) كعادته تدارك الموقف قائلًا بثبات :

ـ سأحدد لك ذلك عندما نجتاز بوابة الحصن .

ونظر إلى (خالد) قائلًا بصوت مسموع :

ـ ربما تفضل أن نواصل الطريق على قدمينا .

قال له (خالد) بصوت مسموع للسائق أيضًا :

ـ نعم . لا بأس بذلك .

ولم ينبس الجندى بكلمة أخرى طوال الطريق ، حتى وصل إلى موقع الحصن .

وراقب (ممدوح) الطريق حوله .. وهو يفحصه بعناية .

كان كما وصفه لهم الجنرال (لوركا) ، مجموعة من التلال الصخرية الحادة تتضمن مرتفعات ومنخفضات وعرة .

واجتازت السيارة أحد التلال الجبلية الكبيرة ، التى تبدو لمن يراها وكأنها منحوتة من الصخر الأسود ، إنه التل



ولم يفعل (ممدوح) أكثر من أن مد يده فى جيبه ليبرز له الأوراق الدالة على شخصيتهما ..

الأسود الذى أشار له (لوركا) ، ووراء التل الأسود كانت تقبع الثكنة العسكرية الحصينة .. وقد أحيطت بجدار حجرى ، وتوسطها باب معدنى ضخم .

وضغط السائق على بوق السيارة عدة مرات ، ففتح الباب المعدنى ليسمح لها بالمرور .

وتطلع جندى الأمن على البوابة إلى السائق ، قائلًا :

ـ لقد تأخرت يا (بوفيتش) أكثر من نصف ساعة ،

أجابه السائق ، قائلًا :

ـ لقد تعطلت منى السيارة فى الطريق .

سأله الجندى قائلًا :

ـ من معك ؟

وتطلّع من خلال نافذة السيارة ، حيث رأى (ممدوح) و (خالد) جالسين فى المقعد الخلفى .

وما إن رأى الرتبة العسكرية المعلقة على كتفيهما ، حتى بادر بأداء التحية العسكرية ، وهو ينظر إليهما باحترام .

ولم يفعل (ممدوح) أكثر من أن مد يده فى جيبه ليبرز له الأوراق الدالة على شخصيتهما ، وسأله الجندى قائلًا :

ـ هل حضراتكما ضابطان جديدان فى الحصن ؟

قال له (ممدوح) فى كبرياء :

ـ نعم .. وليس لدينا وقت كثير لنضيعه .

ثم أشار إلى السائق ، قائلًا :
ـ هيًا واصل طريقك إلى الداخل .. أم ستبقى واقفًا بسيارتك هكذا طوال اليوم ؟
نفذ الجندى ما أمر به (ممدوح) حيث أدار محرك السيارة وواصل طريقه ، بينما أدى جندى الأمن التحية العسكرية فى أثناء سير السيارة ، وهو يشعر بارتباك .
ولكن ما إن ابتعدت السيارة داخل الحصن ، حتى قال محدثًا نفسه :
ـ ضابطان جديدان ؟! لكننا لم نخطر بشىء كهذا .
ثم التفت إلى زميله القائم بالحراسة ، قائلًا :
ـ (فايسلاف) هل تم إصدار أية أوامر بشأن التحاق ضباط جدد من ذوى الرتب العالية بالحصن ؟
قال له زميله :
ـ مطلقًا .
حك الجندى مؤخرة رأسه قائلًا :
ـ إذن من هذان الضابطان ؟
وقال له زميله :
ـ ربما أتيا للزيارة .
نظر إليه الجندى مغمغمًا :
ـ لقد قالا إنهما ضابطان جديدان فى الحصن .

ثم قال وهو يتجه إلى الهاتف الموجود داخل الكابينة المجاورة للبوابة ، محاولًا قطع الشك باليقين :
ـ علىَ أن أتحدث بهذا الشأن إلى الضابط (بونسكى) .
وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) قد استوقف سائق السيارة ، قائلًا :
ـ توقف هنا .
وظل جالسًا فى سيارته حتى بادر السائق بفتح بابها الخلفى ، وهو يؤدى التحية العسكرية قائلًا :
ـ أية أوامر أخرى يا فندم ؟
قال له (ممدوح) :
ـ تستطيع أن تواصل طريقك .. سنستكمل طريقنا سيرًا على الأقدام :
أدى الجندى التحية مرة أخرى ، ثم استقل سيارته .
فالتفت (خالد) إلى (ممدوح) وهو يبتسم قائلًا :
ـ ها نحن قد أصبحنا فى فم الأسد .
وتلفت حوله مستطردًا :
ـ وعلينا أن نحذر من أنيابه .
قال له (خالد) :
ـ المشكلة التى تواجهنا الآن .. هى كيف نهتدى إلى السجن الذى تم إيداع الضابط المصرى فيه ؟ وما السبيل الذى سنسلكه من أجل ذلك ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ لا توجد مشكلة بهذا الشأن ؟

سأله (خالد) باستغراب :

ـ كيف ؟

قال (ممدوح) :

ـ انظر إلى الرتبة المعلقة على كتفك .. عليك أن تستفيد من مزايا الرتبة التى تحملها فى مكان كهذا .. فهى توفر لك الهيبة والاحترام والإجابة عن الأسئلة التى تطرحها .

وأشار إلى أحد الجنود قائلًا بنبرة صارمة :

ـ أيها الجندى .. تعال إلى هنا .

أسرع الجندى بالحضور ، وهو يرتجف ظنًا منه أنه ارتكب خطأً ما سيحاسب عليه .

ووقف أمام (ممدوح) مؤديًا التحية العسكرية .. فسأله بنفس النبرة الصارمة :

ـ قل لى .. أين يوجد السجن ؟

أشار له الجندى إلى أحد الأبنية ، قائلًا :

ـ إنه ذلك البناء القائم فى نهاية المعسكر .

قال له (ممدوح) :

ـ حسن .. يمكنك الانصراف .

أسرع الجندى بالابتعاد فى خطى سريعة .. وهو يتنفس الصعداء ؛ لأن استدعاءه لم يكن بسبب مخالفة ارتكبها .

وابتسم (ممدوح) وهو ينظر إلى (خالد) قائلًا :

ـ هل رأيت ؟.. لا توجد مشكلة ، ما دمت تحسن التصرف .

ابتسم (خالد) قائلًا :

ـ فى الحقيقة .. لا أستطيع أن أنكر أننى أتعلم منك الكثير .

تقدم (ممدوح) بخطوات عسكرية نشطة ، ومعه (خالد) نحو السجن قائلًا :

ـ علينا أن نعرف الآن أين توجد الزنزانة التى أودع بها العقيد (ناصر) ؟

ولكن ما إن اقتربا من المبنى حتى أحاطت بهما مجموعة من الجنود شاهرين أسلحتهم ، وبرز أمامها أحد ضباط الحصن واضعًا يديه فى خصره ، وهو يقول لهما :

ـ والآن .. هل تسمحا بتقديم نفسيكما لى ؟

وبرغم خطورة الموقف إلا أن (ممدوح) احتفظ برباطة جأشه ، وهو يتظاهر بالدهشة قائلًا للضابط الذى يواجهه :

ـ هل تسمح أنت بأن تفسر لى ما الذى يعنيه هذا ؟ كيف تسمح لهؤلاء الجنود بإشهار أسلحتهم فى وجهى ضابطين كبيرين مثلنا ؟

اقترب منه الضابط الشوركاسى ، قائلًا :

ـ تقصد ضابطين زائفين .

أجابه (ممدوح) بانفعال :

ـ لا بد أنك مخبول .. ما هذا الذى تدعيه ؟

قال له الضابط :

ـ لقد أخطرنا جندى الأمن على البوابة بأمركما ، وسألنا جميع الجهات العسكرية التى نتبعها ، أو التابعة لنا بشأنكما ، فأكدوا أنهم لم يرسلوا أى ضباط إلى الحصن .. إذن فماذا تكونان أنتما ؟

ردّ (ممدوح) :

ـ إننا من المخابرات العسكرية .

قال له الضابط الشوركاسى وهو يدور حوله :

ـ حتى المخابرات العسكرية لا تعلم شيئًا عنكما .. وتعليمات المخابرات العسكرية إلى قائد الحصن ، هى أن نقبض عليكما فى الحال ، حتى يرسلوا بضباط من عندهم للتحقيق معكما .

قال (ممدوح) :

ـ نعم .. هذا أمر متفق عليه .

قال له الضابط الشوركاسى فى شراسة :

ـ هل تسخر منى ؟ أم تظن نفسك شخصًا ذكيًا ؟

مدّ (ممدوح) يده إلى جيبه ، قائلًا :

ـ يمكنك أن تطّلع على الأوراق الخاصة بنا .

ولكن الضابط الشوركاسى صاح قائلًا فى انفعال :

ـ لو حاولت أن تضع يدك فى جيبك فسوف ينهال عليك جنودى بوابل من الرصاص .

أبعد (ممدوح) يده بعيدًا عن جيبه ، قائلًا بسخرية :

ـ لا داعى لذلك .. فأنا أكره أن ألوث ثيابى بالدماء .

قال لهما الضابط الشوركاسى بلهجة صارمة :

ـ أرفعا أيديكما عاليًا .

ثم التفت إلى جنوده قائلًا :

ـ جردوهما من أسلحتهما ، ومن الأوراق التى يحملونها معهما .

قال (ممدوح) وهو يرفع يديه عاليًا :

ـ أؤكد لك أنك ستندم على ذلك .

وقال له الضابط الشوركاسى ، وهو يعقد يديه خلف ظهره .

ـ سترى .. من منا الذى سيندم فى النهاية ؟

نظر (خالد) إلى فرع الشجرة المدلى بجوار أذنه .. ثم إلى (ممدوح) قائلًا له بلهجة عربية :

ـ لقد جعلتنى أراك تفعل الكثير يا سيادة المقدم ..

وأعتقد أنه قد آن الأوان لكى أجعلك ترى أنت الآخر بعضًا من ألعابى . فالذى لا تعرفه عنى ، أننى كنت مشهورًا بممارسة الألعاب البهلوانية .

صاح الضابط الشوركاسى ، قائلًا لـ (خالد) :

ـ صه .. توقف عن هذا الحديث .. إن تلك اللغة الغريبة التى تتحدث بها ، تؤكد صدق ظننا بشأنكما ، وأنكما ضابطان زائفان ، ولا تنتميان بأى حال من الأحوال للجيش الشوركاسى .

وقبل أن ينتهى الضابط الشوركاسى من جملته ، كان (خالد) قد تعلق بفرع الشجرة المدلى .. مصوبًا ركلة قوية بمقدمة حذائه إلى وجه الجندى الذى اقترب لتفتيشه .. فأطاح به أرضًا .

وقبل أن تنطلق صوبه طلقات الرصاص .. كان قد تسلق فروع الشجرة فى سرعة ومهارة غير عادية .

ولم يقف (ممدوح) موقف المتفرج .. بل بادر بدوره بالانقضاض على الجندى الآخر الذى كان يفتشه ، والذى جذب انتباهه تلك الحركة المفاجئة من (خالد) مسددًا لكمة قوية .. جعلته يترنح .

ثم تناول مدفعه فى حركة سريعة ليلصق فوهته بظهر الضابط الشوركاسى ، وهو يقبض بيده الأخرى على ياقة سترته قائلًا :

ـ قل لجنودك أن يلقوا بأسلحتهم أرضًا .. وإلا أرديتك قتيلًا فى الحال .

وتكهرب الموقف كله ..





٧ ـ الهـروب ..

أمرهم الضابط الشوركاسى بإلقاء أسلحتهم .. فامتثلوا لأمره .. فى حين قفز (خالد) إلى الأرض ليقوم بجمعها .

وقال له الضابط الشوركاسى باستخفاف :

ـ من الغباء أن تظن أنك تستطيع أن تفلت أنت وزميلك ، بمثل هذه الأفعال الحمقاء .. فأنتما وسط ثكنة عسكرية ، والجنود والضباط يرتادون المكان من حولنا .. ولن تستطيع أن تطلب من الجميع إلقاء أسلحتهم ، وعدم التعرض لكما إكرامًا لخاطرى .

قال (ممدوح) :

ـ معك حق .. لذا سنحتفظ بك رهينة معنا ، ولن أعتمد على هذه البندقية الآلية ، التى أصوبها إليك ، فى ردعك عن التفكير فى التصرف بأية تصرفات طائشة .. بل سأعتمد على مسدس أحتفظ به فى جيبى .. وسيبقى فى جيبى ، ولكن ستكون إصبعى على زناده وفوهته مصوبة نحوك .. وعند الإتيان بأى عمل أحمق ، ستجد إحدى رصاصاته فى جسدك .. وبدون أن نلفت الأنظار .. لأن مسدسى مزوّد بكاتم للصوت .

وسأله الضابط الشوركاسى ، قائلًا :

ـ وما الذى تبغيه من وراء ذلك ؟

رد (ممدوح) :

ـ أن تسهل لنا الدخول إلى ذلك السجن .. فعندما نكون بصحبة ضابط هام مثلك ، فإننى أعتقد أن ذلك سييسّر لنا الكثير من الأمور .

قال الضابط الشوركاسى :

ـ أيًا كان الأمر ، فلن تستطيعا الإفلات من هذا المكان .

قال (ممدوح) :

ـ إن المستقبل فى علم الله .. وربما خابت ظنونك .

والتفت إلى (خالد) قائلًا وهو ينظر إلى مخزن قديم على مقربة منهم :

ـ قُد هؤلاء الجنود إلى ذلك المخزن القديم .. ودعهم يغفون قليلًا .. فهم يبدون مرهقين بعض الشىء .

وصوَّب إليهم (خالد) سلاحه ، قائلًا :

ـ هيًا أمامى إلى المخزن .

وقادهم إلى الداخل .. ثم طلب منهم أن يولوا وجوههم إلى الجدار وهم محتفظون بأيديهم مرفوعة إلى أعلى .

وانتظر حتى امتثلوا لأمره .. ثم تناول فلترًا صغيرًا وضعه فى فتحتى أنفه ، ثم تناول قنبلة تحتوى على غاز

مخدر .. ونزع سدادتها ، ثم ألقى بها فى المكان ، وتصاعد الغاز المخدر فى أرجاء المخزن فتهاوى الجنود غائبين عن الوعى ، فى حين احتفظ (خالد) بوعيه كاملًا ، بفضل الفلتر المنقى للهواء .

وما إن تأكد من غياب الجنود عن الوعى . حتى ألقى ببندقيته الآلية أرضًا ، ثم أغلق باب المخزن ، ليلحق بـ (ممدوح) والضابط الشوركاسى .

وأمسك (ممدوح) بذراع الضابط الشوركاسى ، وهو محتفظ بيده الأخرى داخل جيب سترته . وإصبعه على زناد المسدس .

أما (خالد) فقد سار وراءهما تحسبًا لأى ظروف مفاجئة .

ووصلوا إلى باب السجن حيث أشار الضابط الشوركاسى للجنديين الواقفين على حراسته بفتح الباب .

ونفذ الجنديان أوامره فى الحال ، حيث تقدم (ممدوح) والضابط الشوركاسى إلى الداخل ، وفى إثرهما (خالد) .

ونظر الضابط الموجود بالداخل إلى الضابط الشوركاسى ومن معه ، وفى عينيه بعض التساؤل .

لكن الضابط الشوركاسى بذ فضوله ، قائلًا :

- لقد جاء الضابطان للتفتيش على السجن .

وأفسح لهما ضابطا السجن الطريق باحترام ، قائلًا :

- تفضلا .

وحرر الضابط الشوركاسى ذراعه من يد (ممدوح) قائلًا :

- تفضل .

ولكن (ممدوح) قال له وفى عينيه نظرة متحفزة :

- بل تفضل أنت أمامى أولًا .

ابتسم الضابط الشوركاسى ابتسامة صفراء ، قائلًا :

- كما تريد .

ثم تقدم إلى الداخل ، وفى إثره (ممدوح) و (خالد) .

والتفت إلى (ممدوح) قائلًا :

- بالطبع .. تريدان رؤية الزنازين الموجودة هنا .. إنها ثلاث زنزانات فقط .. ولكنها تستوعب الأسرى والخارجين على النظام العسكرى بالكامل .

ثم مد يده إلى أحد الأزرار ، متظاهرًا بفتح الباب أمام الممر المؤدى إلى الزنازين .

لكن سرعان ما هبط من السقف باب حديدى ، لينغلق على (ممدوح) و (خالد) ، ويفصل بينهما وبين الضابط الشوركاسى .

وأطلق الضابط الشوركاسى ضحكة عالية ، وهو يتحدث إليهما من وراء الباب المعدنى ، بوساطة ميكروفون صغير ، قائلًا :

ـ لقد أردتما دخول السجن .. وها أنتما الآن بداخله كسجينين . ألم أقل لكما إنكما لن تفلتا من هذا المكان ؟

وبعد قليل اقتحم المكان عليهما خمسة من الجنود المسلحين شاهرين أسلحتهم ، حيث أمرهما أحدهم برفع أيديهما عاليًا .. ثم التفت إلى زملائه قائلًا :

ـ جردوهما من أسلحتهما ، وألقيا بهما فى الزنزانة .

ونظر (ممدوح) إلى (خالد) قائلًا :

ـ أعتقد أنه يتعين علينا الاستسلام هذه المرة .

وألقى سلاحه .

★ ★ ★

اقتيد (ممدوح) و (خالد) إلى إحدى الزنزانات عبر الممر المؤدى إليها .

وفى داخل الزنزانة وجد (ممدوح) شخصًا ينتحى فى أحد أركانها ، وهو جالس القرفصاء ، وقد بدا فى حالة إعياء بالغ .

وتعرف (ممدوح) الرجل ، حيث همس لـ (خالد) قائلًا :

ـ لقد وجدنا بغيتنا .. إنه العقيد (ناصر) .

قال له (خالد) :

ـ ولكن ما الذى يمكننا أن نفعله الآن ، وقد أصبحنا زملاء له فى هذا السجن ؟

ثم استطرد وهو ينظر إلى الضابط المصرى :

ـ إنه يبدو فى حالة إعياء شديد .

نظر إليه (ممدوح) بأسى ، وقال :

ـ نعم .. أعتقد أنه تعرض لتعذيب قاسٍ على يد هؤلاء الأوغاد .

واقترب منه (ممدوح) يهمس فى أذنه قائلًا :

ـ عقيد (ناصر) .. لقد جئنا إلى هنا من أجلك .

التفت إليه العقيد (ناصر) فى دهشة قائلًا :

ـ هل تتحدث العربية ؟

ابتسم (ممدوح) ابتسامة مطمئنة ، قائلًا :

ـ نعم .. إننى مصرى مثلك .. وزميلى (خالد) من الجزائر .. لقد جئنا لإنقاذك من الأسر . ونحن نؤدى هذه المهمة تحت علم الأمم المتحدة .

قال لهما العقيد (ناصر) بصوت خافت يعبر عن شعوره بالألم :

ـ أشكركما على المخاطرة بحياتكما من أجل إنقاذى .. ولكن أرى أنهم قد تمكنوا منكما .. وأصبحتما أسيرين بدوركما .

قال (ممدوح) :

- اطمئن .. سنجد الوسيلة المناسبة للهرب من هذا المكان .

قال له العقيد (ناصر) وهو يركن رأسه إلى جدار الزنزانة :

- أتمنى أن يكون لدىّ تفاؤلك .

قال (ممدوح) :

- يبدو أنك متعب .

أجابه العقيد (ناصر) :

- لقد تعرضت لوسائل تعذيب غير عادية .. فهؤلاء (الشوركاسيون) يتمتعون بقسوة غير عادية .

سأله (ممدوح) :

- ما الذى كانوا يبغونه من وراء تعريضك لهذا التعذيب ؟

- إطلاعهم على بعض الخطط ، الخاصة بقوات الأمم المتحدة لإحلال السلام بين (الشوركاس) و (البورساك) ، وما يملكونه من وسائل إدانة ضدهم . لكننى لم أطلعهم على شىء .

- أنا واثق من ذلك .. يمكنك أن تستريح الآن .. ريثما أدبر الأمر بشأن الهرب من هذا المكان .

سأله (خالد) قائلًا :

- هل لديك خطة بالفعل للهرب من هذا المكان ؟

أجابه (ممدوح) :

- نعم .. وعلينا أن نسرع باستخدامها قبل فوات الأوان .

وحلّ (ممدوح) الحزام الملتف حول خصره ، حيث نزع غطاء جلديًا رقيقًا من الداخل ، ينطوى على تجويف بداخله .

وداخل هذا التجويف ، كان يوجد جهاز معدنى فى حجم علبة السجائر المعدنية .

تناوله (ممدوح) وثبته فى حافة باب الزنزانة من أسفل .. حيث التصق به مغناطيسيًا ، وسأله (خالد) قائلًا :

- ما هذا ؟

ردّ (ممدوح) :

- إنه مولد كهربائى صغير الحجم .. لكنه ينطوى على تيار كهربائى قوى للغاية . ويتم تشغيله بوساطة جهاز تحكم إلكترونى ، داخل هذا الخاتم الموضوع فى إصبعى .

نظر إليه (خالد) متعجبًا ، وهو يقول :

- يبدو أنك ستظل تقدم لى العديد من المفاجآت طوال هذه المهمة .



تناوله (ممدوح) وثبته فى حافة باب الزنزانة من أسفل ، حيث التصق به مغناطيسيًا ..

ثم استطرد قائلًا :

ـ إذا ما كتب لنا أن نعيش لنكملها بالطبع .

وقبع (ممدوح) فى أحد أركان السجن ، وهو يرقب العقيد (ناصر) . الذى بدا شاردًا عما يدور حوله .. قائلًا لـ (خالد) :

ـ علينا أن نحتفظ بالأمل والإرادة .. وأن نفيد مما تقدمه لنا التكنولوجيا الحديثة .

قال (خالد) :

ـ يبدو أن فى جعبتك الكثير من وسائل هذه التكنولوجيا .

قال (ممدوح) :

ـ إن طبيعة عملى تقتضى ذلك .

قال (خالد) :

ـ هذه هى فائدة العمل مع رجال أمن محترفين مثلك .. فمثل هذه الأشياء لا تتوافر لنا فى الجيش .. إذا ما استبعدنا بالطبع وسائل القتال المتقدمة ، والأسلحة الحديثة .

وضع (ممدوح) إصبعه على شفتيه ، وهو يهمس لـ (خالد) قائلًا :

ـ صه .. هناك شخص قادم .

وفتح باب الزنزانة ليدخل منه جنديان ، وقف أحدهما بجوار الباب شاهرًا سلاحه فى مواجهتهما ، فى حين قام الآخر بوضع صينية طعام على أرضية الحجرة ، قائلًا :

ـ حاولوا أن تأكلوا جيدًا ، فربما تكون هذه هى الوجبة الأخيرة بالنسبة لكم .

سأله (ممدوح) قائلًا :

ـ ألن نلتقى بأحد المسئولين هنا ؟

ابتسم الجندى ابتسامة صفراء ، قائلًا :

ـ ستجد من يرحب بك قريبًا .. وقتها ستكره أنك قد سألت هذا السؤال .

قال (ممدوح) :

ـ إننى أشتم من إجابتك هذه ، أن قادتك لا يبدون شيئًا من الود تجاه أسراهم ، وهم الجندى بأن يقول شيئًا .. لكن زميله نهره قائلًا :

ـ توقف عن هذا الجدال السخيف .. وهيًا بنا ، فما زال لدينا العديد من الأعمال .

وهمّ الرجلان بإغلاق باب الزنزانة .. لكن (ممدوح) سارع بإدارة غطاء الخاتم الذى يضعه فى إصبعه ، وهو يوجهه نحو المولد المغناطيسى الذى ألصقه بالباب .

وأطلق الرجلان صرخة قصيرة ، من أثر سريان التيار

الكهربائى من الباب المعدنى إلى أيديهم . ثم ما لبثا أنْ تهاويا على الأرض مغشيًا عليهما . وسارع (ممدوح) بإعادة غطاء الخاتم إلى وضعه الأول .. فى حين انتفض العقيد (ناصر) وهو ينظر إلى ما حدث بدهشة ، قائلًا :

ـ ما هذا ؟ ما الذى يحدث ؟

أسرع (خالد) بتناول سلاح الجنديين ، فى حين قال (ممدوح) للعقيد (ناصر) :

ـ لقد وعدتك بأن أساعدك على الهرب .. والآن هيًا بنا .

قال العقيد (ناصر) :

ـ ولكن ماذا سنفعل مع الآخرين ؟

ساعده (ممدوح) على النهوض ، قائلًا :

ـ سنفكر فى ذلك فيما بعد .. المهم الآن أن نسرع بمغادرة هذه الزنزانة .

وتناول (ممدوح) إحدى البندقيتين الآليتين اللتين استولى عليهما (خالد) .. كما استعاد المولد المغناطيسى من المكان الذى ثبته فيه على الباب .

واندفع الجميع إلى الخارج مغادرين الزنزانة .

واعترض طريقهم بعض الجنود .. لكن (ممدوح) و (خالد) سارعا بتصويب أسلحتهما إليهم طالبين منهم فتح الأبواب المغلقة أمامهم .

وفوجئ الضابط المسئول عن السجن ، باقتحامهم لغرفته ، حيث قال له (ممدوح) بلهجة آمرة :

- ستغادر معنا هذا المكان بهدوء ؛ لتسهل لنا مغادرة ذلك السجن اللعين .

وجدوا استجابة سريعة من ضابط السجن ، الذى أصيب بالفزع لرؤيتهم وهم يقتحمون حجرته على هذا النحو .

وقادهم الضابط إلى خارج السجن ، حيث قال له (ممدوح) :

- والآن ستصحبنا إلى مكان آمن داخل هذا الحصن .. وتذكر أن حياتك تتوقف على ألا يصاب أحدنا بسوء .. فأى خطر يمكن أن نتعرض له ، سيجعلنا لا نتردد فى إطلاق الرصاص عليك فى الحال .

وكان يعنى كل حرف نطق به ، فالموقف دقيق .. دقيق للغاية ..





٨ - العميل ..

اقتادهم الضابط المسئول عن السجن إلى أحد الملاجئ العسكرية تحت الأرض ، قائلا :

- هذا الملجأ يستخدم كمقر قيادة عند حدوث عدوان على الحصن .. وهو لم يستخدم منذ فترة طويلة ؛ لعدم تعرض الحصن لاعتداءات عسكرية مؤخرًا . لذا فهو يعد مكانا آمنا .

قال (ممدوح) :

- حسن .

ثم نظر إلى (خالد) قائلًا :

- ضع عينك عليه .. ولا تحاول أنت أو العقيد (ناصر) مغادرة المكان قبل أن أعود إليكما .

سأله (خالد) :

- وأين ستذهب ؟

قال (ممدوح) :

- سأحاول البحث عن وسيلة لمغادرة هذا الحصن .

قال له (خالد) ، وهو يربت على كتفه :

- كن حذرًا .

قال (ممدوح) :

ـ اطمئن ، المهم عليك أنت أن ترعى العقيد (ناصر) ، وأن تبقى محتفظًا بذلك الضابط كرهينة حتى أجد الوسيلة التى تمكننا من الهرب من هنا ، وإلا أفسد لنا كل شىء .

وغادر (ممدوح) الملجأ العسكرى ، وهو يسير بثبات داخل أرجاء الحصن .. معتمدًا على بذلته العسكرية التى لم يجردوه منها بعد .

وكانت الأمور تبدو هادئة داخل الحصن ، وتسير بطريقة طبيعية ، مما يوحى بأن قيادة الحصن لم تعلم بأمر هروبه هو وزميليه بعد .. وإلا لدوَّت صفارات الإنذار ، وعمت حالة الطوارئ المكان .

واستطاع (ممدوح) أن يميز مبنى القيادة داخل الحصن .. فاتجه إليه مباشرة .. حيث بادر جندى الحراسة الواقف أمام مقر القيادة قائلًا بصوت يعبر عن عسكرية صارمة :

ـ ألم يحضر أحد من المخابرات الحربية بعد ؟

اعتدل الجندى فى وقفته قائلًا باحترام :

ـ كلا يا سيدى .

تقدم (ممدوح) نحو الباب ، قائلا :

ـ حسن .. سيحضر بعد قليل ضابطان من المخابرات الحربية ، دعهما يلحقان بى فى غرفة القائد .

قال الجندى ، وهو يشدّ قامته :

ـ أمرك يا سيدى .

وقبل أن يتقدم (ممدوح) إلى الداخل ، لاحظ اقتراب سيارة جيب عسكرية من مبنى القيادة ، وقد جلس فى مؤخرتها ضابطان يختلفان فى زيهما العسكرى عن الزى المميز لضباط وجنود الحصن .

فانتحى جانبًا بجوار الباب ، وهو يسمع وقع أقدامهما فوق درجات السلم المؤدى إلى باب القيادة .

وسمع أحدهما يتحدث إلى الجندى ، قائلًا :

ـ هل القائد موجود بالداخل ؟

لحق بهما أحد ضباط المعسكر ، قائلًا :

ـ نعم .. إنه فى انتظاركما .. ومعه أركان حرب الحصن ورئيس العمليات .. كان يتعين علىّ أن أنتظركما لدى مدخل الحصن ، لكن حدثت أمور عطلتنى .

نظر إليه أحدهما نظرة تنم عن البرود والقسوة قائلًا :

ـ مرة أخرى .. عندما تصدر إليك الأوامر بانتظار أحد ضباط المخابرات الحربية ، فلا تدع أى شىء يعطلك عن القيام بمثل هذا الواجب .

ارتبك الضابط ، قائلًا :

ـ سأحرص دائمًا على ذلك فى المستقبل .

شد الجندى القائم على الحراسة قامته مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ الكولونيل فى انتظاركما بالداخل يا سيدى .

التفت إليه أحد ضابطى المخابرات ، قائلًا :

ـ أى كولونيل .

قال له ضابط الحصن :

ـ لعله يقصد الكولونيل (جونيش) رئيس العمليات .

قال الجندى محدثًا ضابط الحصن :

ـ ولكن يا سيدى ...

قاطعه الضابط وهو ينهره ، قائلًا :

ـ لا شأن لك أنت بهذا .. إنك هنا من أجل الحراسة فقط .

ثم اصطحب الضابطين إلى الداخل ، فى اللحظة التى كان فيها (ممدوح) قد تراجع إلى الوراء .. مختفيًا وراء أحد الأعمدة الخرسانية .. وهو يرقب دخولهما إلى غرفة المكتب الخاصة بقائد الحصن .

وانتظر فى أحد مقاعد قاعة الاستقبال المجاورة لغرفة المكتب الخاصة بالقائد ، وهو ينظر فى ساعته .

وفى تلك اللحظة كان قائد الحصن يتصدر مائدة اجتماعات كبيرة ، وقد جلس رئيس أركان الحصن عن يمينه ، ورئيس العمليات عن يساره ، يجاوره ضابطا المخابرات الحربية ، وفى المواجهة كان الضابط الذى حضر لاستقبالهما ، والضابط الذى قام باعتقال (ممدوح) .

وتحدث أحد ضباط المخابرات ، موجهًا حديثه إلى قائد الحصن قائلًا :

ـ أحسنت صنعًا يا ميجور بالقبض على هذين الرجلين ، وإيداعهما السجن ، ولو أن أمر اقتحامهما للحصن على هذا النحو ، قد أثار قلق القائد العام . فحصن (كوفو) يعد أحد الحصون العسكرية الهامة التى تعتمد عليها قواتنا .

قال له قائد الحصن :

ـ أنا أيضًا أشعر بقلق بالغ لهذا الأمر .. لذا أريد أن يجرى التحقيق أمامى وفى حضور قادة الحصن .. حتى نعلم كيف تسلل هذان الرجلان إلى هنا ؟ وكيف تمكنا من ارتداء الزى العسكرى الخاص بالقوات الشوركاسية ؟ وما هى أهدافهما من وراء التسلل إلى الحصن على هذا النحو ؟

تحدث الضابط الشوركاسى الذى قام باعتقال (ممدوح) و (خالد) ، قائلًا :

- أعتقد أنهما قد جاءا من أجل مساعدة ضابط الأمم المتحدة على الهرب .

وتحدث أحد ضابطى التحقيق ، قائلًا :

- هذا ما سنحدده بعد إجراء التحقيق اللازم .

وفى تلك اللحظة انطلق صوت الهاتف ، فوق مكتب قائد الحصن المجاور لمائدة الاجتماعات ، فتحدث إلى الضابط الذى اعتقل (ممدوح) و (خالد) قائلًا :

- رد على الهاتف .

تناول الضابط سماعة الهاتف ، وقد بدا عليه الانزعاج وهو يصيح قائلا :

- ماذا ؟ كيف حدث هذا ؟

تطلع إليه القائد قائلًا :

- ماذا حدث ؟

وضع الضابط سماعة الهاتف ، وهو ينظر إلى قائده فى اضطراب ، قائلًا :

- لقد هرب الرجلان اللذان اعتقلناهما اليوم .

صاح القائد ومعه أحد ضابطى التحقيق فى صوت واحد قائلين :

- هـربا ؟!!

أردف الضابط قائلًا :

- ومعهما ضابط الأمم المتحدة .

ارتسمت علامات الغضب على وجه قائد الحصن ، وهو يقول :

- كيف تمكنوا من الهرب ؟ أين الضابط المسئول عن السجن ؟

قال له الضابط :

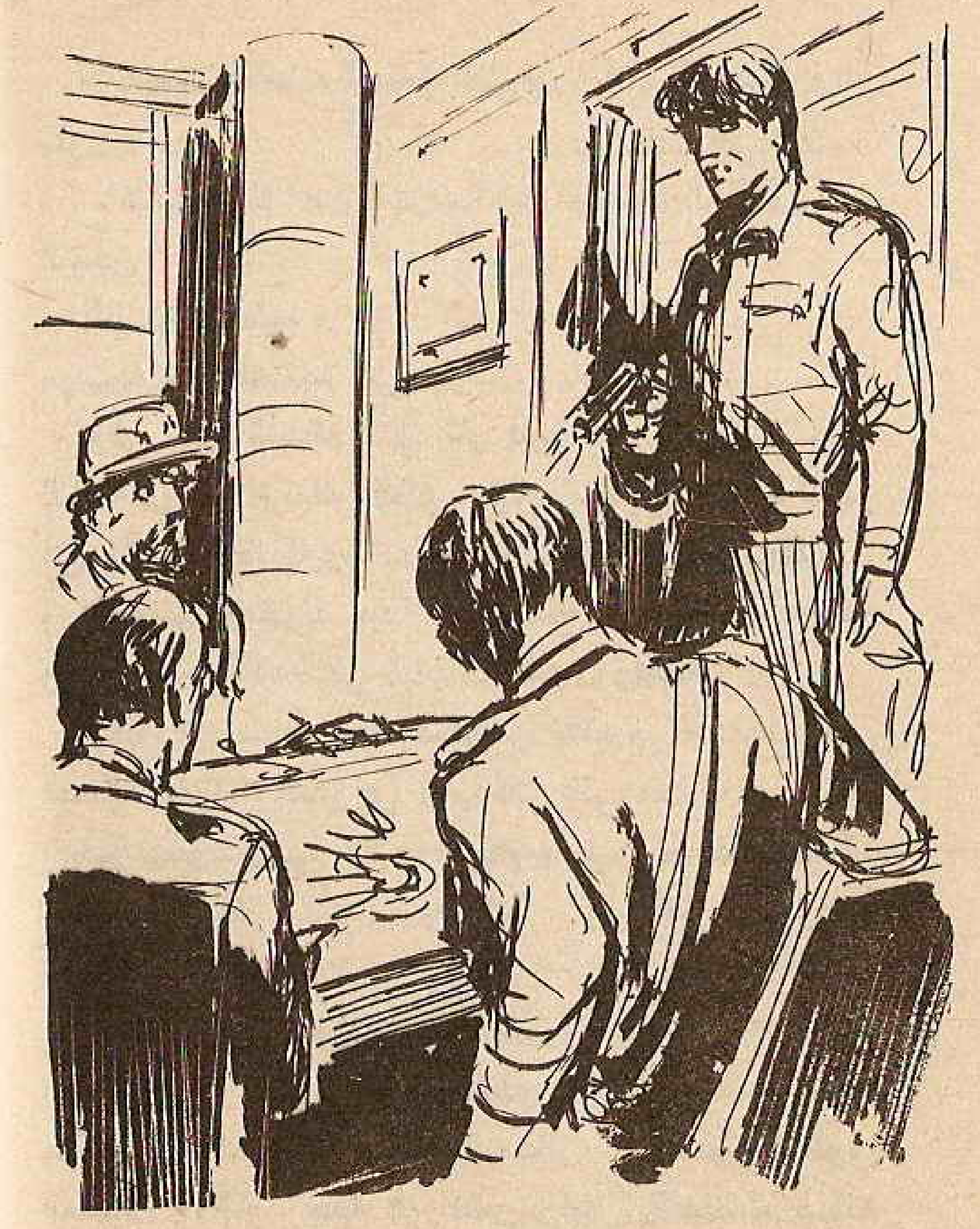
- لم يعثر له أحد على أثر .

وفى نفس اللحظة التى أثار فيها خبر هروب السجناء الثلاثة كل هذا الارتباك والقلق .. كان (ممدوح) قد عاد للنظر فى ساعته مرة أخرى ، بعد مرور دقيقتين على انتظاره .. وراقب المكان حوله جيدًا .. ثم اندفع فى خطوات سريعة واسعة عبر الردهة إلى الباب المغلق .. وفتحه .

وقبل أن يتخلص الجميع من عنصر المفاجأة التى أحدثها دخول (ممدوح) المباغت على هذا النحو ، كان الأخير يصوب إليهم سلاحه ، وهو يغلق الباب خلفه قائلًا :

- أرجو التزام الهدوء يا سادة .. وأن تتكرموا بوضع أيديكم فوق المائدة .

حاول رئيس العمليات ، أن يتناول مسدسه من الحزام الملتف حول خصره ، لكن (ممدوح) أطلق رصاصة من مسدسه أطاحت بمنفضة السجائر الموضوعة فوق المائدة .. فأثار رجفة فى نفس رئيس العمليات جعلته يسارع بوضع يده على المائدة .



لكن (ممدوح) أطلق رصاصة من مسدسه أطاحت بمنفضة السجائر الموضوعة فوق المائدة ..

استطرد (ممدوح) :

ـ لعلكم لاحظتم أن مسدسى مزود بكاتم للصوت .. على نحو يكفل قتلكم جميعًا دون أن نضطر لإزعاج أحد بالخارج .. لذا أرجو الالتزام بالنصيحة ، والتوقف عن أى تصرف طائش ، قد يؤدى إلى فقدان حياتكم .. التى أعتقد أنكم تحرصون عليها .

تحدث إليه قائد الحصن ، قائلًا :

ـ من أنت ؟ وماذا تريد ؟

قال له الضابط الذى قام باعتقاله :

ـ إنه أحد السجناء الفارين .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ ها هو قد أجابك عن نصف السؤال .. أما النصف الآخر ، فأعتقد أنه يحتاج منى إلى بعض التوضيح .

قال له رئيس أركان الإدارة :

ـ ألق بهذا السلاح .. فلن يفيدك بشىء ، ثم اجلس لنتفاهم .

ابتسم (ممدوح) قائلًا بسخرية :

ـ لو ألقيت هذا السلاح .. فلا أعتقد أنكم ستتيحون لى الوقت الكافى لتوضيح الأمور والتفاهم .. كما أن وجوده فى يدى حتى هذه اللحظة يحقق لى فائدة لا بأس بها ..

على الأقل يضمن لى أن أرى أمامى أشخاصًا عقلاء ينصتون إلى محدثهم ، دون تهور أو حماقة .

عاد القائد ليقول له :

ـ حسن .. قل ما تريد .

قال (ممدوح) :

ـ لعلكم قد لاحظتم أننى تمكنت من الهرب أنا وزميلاى من السجن .. كما أننا وجدنا الوسيلة المناسبة التى تجعلنا نغادر هذا الحصن بهدوء ، ودون مشاكل . هذا لأننا أشخصاص محترفون .. ونجيد القيام بمثل هذه الأعمال الخطيرة ، وكان يمكن والأمر هكذا ، أن أعمد إلى الفرار .. خاصة وقد نفذنا المهمة التى جئنا من أجلها أنا وزميلى .. وهى إنقاذ ضابط الأمم المتحدة ، الذى وقع فى أسركم ، وحاولتم إلصاق تهمة أسره (بالبورساك) .. ولم يعد متبقيًا أمامنا سوى أن نقطع هذه الأحراش التى جئنا منها إلى الجانب الآخر ، لنكون تحت حماية قوات الأمم المتحدة .. فنعيد الأسير ، ونحصل على المكافأة اللازمة . لكن بدلًا من ذلك ، استطعت إقناع ضابط الأمم المتحدة وزميلى بعدم التسرع بالهرب ، وطلبت منهما الانتظار فى أحد الأماكن ، حتى أتمكن من دراسة المنطقة المحيطة بنا ، والطريق المؤدى إلى الهرب .

وتركتهما هناك ومعهما الضابط المسئول عن السجن أسيرًا لهما ، وجئت بقدمىّ إلى هنا .. إلى مركز القيادة .. أتدرون ماذا يعنى هذا ؟

سأله قائد الحصن بهدوء ، قائلًا :

ـ ما الذى يعنيه ؟

قال (ممدوح) :

ـ يعنى أننى أطمح إلى ما هو أكثر من هذه المهمة .. أطمح إلى أن نتعاون معًا .

قال قائد الحصن ، وفى عينيه نظرة فاحصة :

ـ نتعاون معًا ؟

قال (ممدوح) :

ـ نعم .. ومن أجل هذا جئت إلى هنا لكى أتحدث إليكم .. ومن أجل هذا أيضًا ، ولكى أثبت حسن نواياى ، سأضع سلاحى فوق المائدة .

ووسط نظرات الدهشة فى عيون الحاضرين ، وضع مسدسه فوق المائدة .

ورفع يديه عاليًا ، وهو يقول :

ـ ها أنا الآن أقف أمامكم مجردًا من السلاح .. وتستطيعون أن تفعلوا معى ما تشاءون .

أسرع أحد الضباط بتناول مسدسه ليصوبه نحو (ممدوح) .

لكن القائد صاح فيه ، قائلًا :

ـ توقف .

ثم استطرد قائلًا بلهجة خبيثة :

ـ لا داعى لذلك .. فالرجل أثبت لنا حسن نواياه .

وتناول أحد الجالسين المسدس الذى وضعه (ممدوح) من فوق المائدة ليفرغ خزائنه من الرصاص .. ثم يلقى به فوق المائدة مرة أخرى ، فى حين قال له قائد الحصن :

ـ يمكنك أن تجلس ، وتكمل حديثك لو أردت .

جلس (ممدوح) قائلًا :

ـ أشكرك يا سيادة القائد .. والآن سأكمل حديثى .. لقد كنت أنوى منذ البداية أن أعرض عليكم خدماتى لدى حضورى إلى هنا .

وكان هذا هدفى الحقيقى من وراء القيام بهذه المهمة .

وأشار إلى الضابط الذى قام باعتقاله ، قائلًا :

ـ لكن سيادة الضابط لم يتح لى الفرصة .. وفكرت فى أن أعرض عليكم الأمر ، عندما تبدءون فى التحقيق معى ومع زميلى .. لكنه فاجأنى بخطته التى رسمها للهرب من السجن ، ومعنا ضابط الأمم المتحدة .. ولم أكن أملك أن

أعارضه ، وإلا شك فى أمرى .. فشاركته تنفيذ خطة الهرب .

هذا فضلًا عن أننى فكرت فى أنكم قد لا تولونى ثقتكم ، لو عرضت عليكم أمر التعاون فيما بيننا فى أثناء التحقيق .. لأنكم ربما فكرتم فى أننى أتخذ من ذلك ذريعة للنجاة بنفسى .. أو أننى أحاول أن أخدعكم .

ورأيت أنه سيكون أجدى وأصدق .. لو أننى جئت إليكم طواعية .. بينما كل الوسائل مهيأة لى للهرب من هذا المكان .

قال له القائد بهدوء :

ـ أفهم من هذا أنك تريد أن تتعاون معنا فى أمر ما .

قال (ممدوح) :

ـ نعم .. أريد أن أكون عميلًا لكم بين قوات الأمم المتحدة المرابطة هنا .

وكان العـرض مفاجئـًا ..

★ ★ ★



٩ ـ الرجل الخطير ..

ابتسم قائد الحصن فى استخفاف ، قائلًا :

ـ عميلًا لنا !!

قال له (ممدوح) بثبات :

ـ نعم .. لقد سمعت أنكم تدفعون مكافآت مجزية لمن يعمل لحسابكم .

قال قائد الحصن :

ـ أتظن أننا ندفع مكافآت لشخص ما .. لكى يعمل لحسابنا .

قال (ممدوح) :

ـ إننى لا أظن .. بل أنا واثق من ذلك .. وأعتقد أننى أستطيع أن أشارك فى القيام بنفس الدور الذى يقوم به .

سأله أحد ضابطى المخابرات :

ـ وما السر فى ثقتك هذه ؟

قال (ممدوح) :

ـ لأن رجال المخابرات التابعين للأمم المتحدة ، يعلمون بأمر وجوده .. وإن كانوا لم يتمكنوا من تحديد شخصيته بعد .

قال ضابط المخابرات الشوركاسى :

ـ وما الذى يمكن أن تقوم به على وجه التحديد ، لو وافقنا على أن تكون عميلًا لنا ؟

قال (ممدوح) :

ـ إننى موضع ثقة قيادة القوات التابعة للأمم المتحدة .. ويمكننى أن أقوم بنفس المهام التى تكلفوننى بها ، بدلًا من عميلكم الآخر .. خاصة وأننى أعتقد أنه بعد العلم بأمر وجوده ، فإنه أصبح يتعين عليكم تجميد نشاطه لفترة من الوقت حتى لا ينكشف أمره .

كما أننى أستطيع تغطيته لو أردتم ، والتعاون معه فى إمدادكم بالمعلومات المطلوبة ، دون أن يبدو واضحًا فى الصورة .

وإذا أردتم نماذج من الخدمات التى يمكن تقديمها .. فإننى أستطيع مثلًا إلصاق بعض التهم بقوات (البورساك) ، بدلًا منكم ، وتقديم صورة مضللة لإدارة العمليات التابعة لقوات الطوارئ ، حتى يمكن تغطيتكم أمام مجلس الأمن .

كما أستطيع أن أنقل إليكم تحركات قوات (البورساك) .. والخطط الخاصة بإجلاء جنودهم عن بعض المواقع .. وترتيب بعض الحوادث التى يمكن أن تقع لبعض جنود الأمم المتحدة ، ونسبتها إلى جيش (البورساك) .

قال له قائد الحصن :

يبدو أن لديك الكثير لتقديمه لنا .

قال (ممدوح) :

ـ لقد عرضت بعض نماذج فقط مما يمكننى القيام به .. ولكنى جاهز لتكليفى بأى عمل آخر من جانبكم .

سأله قائد الحصن قائلا :

ـ ولِمَ كل هذا ؟

قال (ممدوح) :

ـ لأننى كما أخبرتك رجل طموح .. وعملى كضابط لم يوفر لى كل ما كنت أرجوه من رفاهية وثراء .. لذا فأنا بحاجة إلى مبالغ حقيقية من المال لكى أحقق كل ما أتمناه .

هزّ قائد الحصن رأسه وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ هذا أمر مفهوم .

قال (ممدوح) :

ـ والآن ماذا قلت ؟

قال قائد الحصن :

ـ ولكنك لم تخبرنا حتى الآن .. أين يختفى زميلاك ؟

قال (ممدوح) :

ـ ولكننا لم نتفق .. هل توافقون على أن أعمل لحسابكم ؟ وما هو المبلغ الذى ستدفعونه نظير خدماتى ؟

نظر قائد الحصن إلى ضابطى المخابرات الشوركاسية قائلًا :

ـ هذا أمر تستطيع أن تسأل عنه رجال المخابرات الشوركاسية .

قال له أحد ضباط المخابرات :

ـ نحن لسنا فى موقع يتيح لنا تقرير هذا الآن .. لا بد أن نرجع أولًا إلى قائد المخابرات ، بل والقائد العام للجيش الشوركاسى ، لتقرير ما يراه بهذا الشأن .

قال قائد الحصن :

ـ وأنا أضمن لك معاملة طيبة .. وحرية كاملة ، حتى يتم الاتفاق بهذا الشأن . فقد أبديت نوايا طيبة نحونا على كل حال .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلًا :

ـ والآن .. أين يختفى زميلاك ؟

قال (ممدوح) :

ـ فى ملجأ القيادة الاحتياطى .

نظر القائد إلى الضابط الذى قام باعتقالهم من قبل ، وهو يصدر إليه أوامره قائلًا :

ـ خذ جنودك وألق القبض عليهم .

قال (ممدوح) :

ـ إننى أنصح بالاحتفاظ بهم كرهائن ، إذا ما تأزمت الأمور .

نظر إليه القائد ، قائلا :

ـ ما اسمك ؟

أخبره (ممدوح) باسمه .. فقال له :

ـ مقدم (ممدوح) .. التعامل معهم سيكون من شأننا .

وتحول إلى رئيس أركان الحصن ، قائلًا :

ـ اصحب المقدم (ممدوح) إلى إحدى غرف الضباط الأنيقة ، وأصدر أوامرك بالعمل على راحته .. وتعيين جنديين من أجل خدمته .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ هل سيكون هذان الجنديان مكلفين بالعمل على خدمتى أم بالتحفظ علىّ ؟

ابتسم قائد الحصن ، قائلًا :

ـ الاثنان يا سيادة المقدم .

قال (ممدوح) :

ـ هذا يعنى أننى سأودع فى سجن أكثر رقيًا مما كنت فيه .

قال قائد الحصن :

ـ ليس إلى هذه الدرجة .. إننا سنوفر لك معاملة طيبة

وإقامة مريحة لدينا ، حتى يتم تقرير الأمر بالنسبة للعرض الذى قدمته لنا الآن .

قال (ممدوح) :

ـ وإذا لم تتم الموافقة على هذا العرض .. أكون قد خسرت كل شىء .

قال قائد الحصن :

ـ لقد قبلت المخاطرة منذ البداية .. والذى يخاطر عليه أن يضع فى حسابه احتمالات المكسب والخسارة .

قال (ممدوح) :

ـ إذن فلن يكون لى حق مغادرة الغرفة ، والتجول قليلًا فى أرجاء هذا الحصن ، فى حالة شعورى بالملل من إقامتى الجبرية .

قال قائد الحصن :

ـ بل سيكون لك هذا الحق .. ولكن بمرافقة الجنديين المكلفين بحراستك . إنك بصدد أن تكون عميلًا لنا .. وتجنيد العملاء يحتاج إلى تدريب وإعداد ، ويستدعى فرض بعض القيود .

نهض (ممدوح) قائلًا :

ـ حسن .. لقد قبلت المخاطرة كما قلت ، وعلىّ أن أتقبل كل ما يترتب عليها من نتائج .

ابتسم قائد الحصن ، قائلًا :

ـ هكذا يتحدث الحكماء .

واصطحب رئيس الأركان (ممدوح) إلى الخارج تتبعه نظرات مرتابة من ضابطى المخابرات ونظرة قاسية من قائد الحصن .

وبعد انصرافه تحدث أحد ضابطى المخابرات إلى القائد ، قائلًا :

ـ أرى أنك تدلله أكثر من اللازم .

قال له قائد الحصن :

إننى أعمل على كسب ثقته .

تحدث زميله قائلًا :

ـ إذن فأنت لا تثق به .

أجاب قائد الحصن :

ـ بالطبع .. تمامًا كعدم ثقتكم به .

قال ضابط المخابرات الشوركاسية :

ـ ولكن وجوده فى مكان بعيد عن سجن الحصن ، يعد أمرًا خطيرًا .. فذلك الرجل لا يبدو سهلًا بأى من الأحوال .. لقد تمكن من الهرب من السجن ، برغم كل إجراءات الحراسة والاحتياطات الموجودة فيه .. فلن يعدم الوسيلة للهرب من حراسة جنديين .

قال قائد الحصن :

ـ إنه لن يهرب .. على الأقل الآن .. وحضوره إلينا هنا أكبر دليل على ذلك .. فكما ترون أن الرجل يحاول أن يكسب ثقتنا لهدف فى نفسه .. وأنا ألعب معه لعبته .

تحدث زميله ، قائلًا :

ـ ولكن يا سيادة القائد ...

قاطعه القائد فى حزم :

ـ لعلك تنسى أننى بجانب عملى كقائد لهذا الحصن .. فإننى أيضًا من ضباط المخابرات الشوركاسية ، وأننى المسئول عن تجنيد ذلك العميل الذى يعمل لحسابنا بين صفوف قوات الأمم المتحدة .. لذا فأمر هذا الرجل قد أصبح الآن يهمنى أكثر من أى شخص آخر .

لقد قلت إنه لا يبدو رجلًا سهلًا .. وأنا أقول إنه يبدو رجلًا خطيرًا للغاية ، إن الرجل الذى يتمكن من الهرب من سجن الحصن على هذا النحو ، ويأتى إلى هنا طواعية وعلى قدميه ، ليقتحم حجرة القيادة بكل ما فيها من ضباط .. ثم يخاطر بإلقاء سلاحه دون ضمانات حقيقية ، لا يعد رجلًا عاديًا بأى حال من الأحوال .

لذا فإن علينا أن نعرف مقدار المعلومات التى يعرفها هذا الرجل عنا ، وعن العميل الذى زرعناه بين صفوف

قوات الطوارئ .. وأن نتعرف إمكانياته الحقيقية ، وما هو الهدف من وراء لعبته هذه ، وتضحيته بزميليه على هذا النحو ؟

كل تلك الأشياء لن تستطيع أن تستخلصها من رجل كهذا ، بوضعه فى السجن ، وممارسة بعض أنواع التعذيب معه .

تحدث ضابط الحصن ، قائلًا :

يتعين علينا أن نضع فى اعتبارنا أيضًا ، أنه ربما يسعى وراء تحقيق مكاسب مادية بالفعل .. وأنه يمكن الاستفادة منه كعميل آخر داخل قوات الطوارئ .

قال قائد الحصن :

ـ بالطبع سنضع هذا الاحتمال فى اعتبارنا ، شأن بقية الاحتمالات الأخرى ، وإن كان هذا احتمالًا ضعيفًا .

فما قاله صحيح بشأن عميلنا .. ربما أصبح الآن عديم الفائدة .. بل مصدر خطر علينا ، إذا ما تم اكتشاف حقيقته ، وحقيقة الدور الذى يقوم به ، لذا فإنه يتعين علينا أيضًا أن نعرف ما إذا كان قد تم التوصل إلى حقيقته بالفعل ، أم أن ما يقوله هذا الرجل يعد بمثابة مناورة .

وتحدث أحد ضابطى المخابرات الشوركاسية ، قائلًا :

ـ إننى أعتقد أن هدفه الحقيقى هو تعرف حقيقة هذا العميل .. وأن هذا هو ما يسعى إليه .

قال له قائد الحصن :

ـ إننا لن نبالغ فى شكوكنا يا سيادة الضابط .. فكما قلت .. إن كل الاحتمالات قائمة .. ولا تنس أنه سيكون بين أيدينا مصدر آخر وهام للحصول على المعلومات ، وهو الرجلان الآخران .. لا بد أن لديهما الكثير ليقولاه بشأن زميلهما ، وبشأن ما لدى قادتهما من معلومات .

وفى أثناء ذلك كان الضابط الشوركاسى وجنوده ، قد نجحوا فى التسلل إلى الملجأ السرى ، حيث فاجئوهم من عدة منافذ مختلفة للملجأ .

وأمر الضابط الشوركاسى (خالد) بأن يلقى سلاحه قائلًا :

ـ لا داعى لإبداء أية مقاومة حمقاء .

استسلم (خالد) وقد أحس بعدم جدوى المقاومة بالفعل .. خاصة وأنه كان حريصًا على حياة العقيد (ناصر) .

وسأله قائلًا :

ـ هل قبضتم على المقدم (ممدوح) أيضًا ؟

ابتسم الضابط وهو يأمر جنوده باقتيادهم خارج الملجأ ، قائلًا :

إننا لم نكن بحاجة لذلك .. فقد أتى إلينا بنفسه طواعية ، وهو الذى أرشدنا إلى مكانكم .

سأله (خالد) غير مصدق :

ـ ماذا تقول ؟

أجابه الضابط الشوركاسى :

ـ أقول إن زميلكم هو الذى تطوع بالكشف عن المكان الذى قادكم إليه ، وساومنا على القبض عليكم .

قال له (خالد) بانفعال :

ـ هذا كذب .

قال الضابط الشوركاسى وهو يدفعه أمامه :

ـ بل هى الحقيقة أيها الأبله .. إن زميلكم أرشد عنكم .

ظل (خالد) يردد وعيناه ترفضان تصديق ذلك قائلًا :

ـ (ممدوح) .. غير معقول .. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا .

وبعد قليل حضر الضابط الشوركاسى إلى غرفة القائد ، مؤديًا له التحية العسكرية ، وهو يقول :

لقد قبضنا على السجناء الفارين يا سيدى القائد .

ابتسم قائد الحصن ، قائلًا :

ـ عظيم .. إذن فقد كان ذلك الرجل صادقًا معنا فى كشفه لنا عن مكان زملائه .

والتفت إلى الملتفين حول مائدة الاجتماعات ، قائلًا :

ـ والآن أيها السادة الضباط لنكمل مناقشتنا بشأن تصرفنا حيال ذلك الرجل ..

علينا أن نتخذ القرار بشأنه ..

القرار الحاسم ..

★ ★ ★



١٠ ـ الثعلب ..

تحدث أحدهم ، قائلًا :

ـ إن أول شىء يتعين علينا أن نفعله ، هو أن نخطر عميلنا فى صفوف قوات الطوارئ ، بأنهم يعلمون بأمره حتى يأخذ حذره .

قال له القائد :

ـ نعم .. إننى أوافقك على ذلك تمامًا .. إننا على كل حال سنتلقى إشارة لاسلكية منه بعد يومين ، وسنعلمه بالأمر .

وتحدث رئيس العمليات ، قائلًا :

ـ إننى أرى ألا ننتظر حتى يتصل هو بنا .. بل نبادر نحن بالاتصال به هذا المساء .. وربما أصبح يتعين عليه ألا يستخدم جهاز اللاسلكى الذى سلمناه له الآن .. لأنهم لو كانوا يتشككون فى وجود مثل ذلك العميل .. فلا بد أنهم سيبادرون بالكشف عن أية إشارات لاسلكية غير مألوفة ، ويعملون على حل شفراتها .. علينا أن ننبهه بأن يتوقف عن الاتصال بنا حتى يتم تغيير الشفرة ، أو نبحث عن وسيلة أخرى للاتصال .

نظر القائد إلى أحد ضباطه ، قائلًا :

ـ (كوتشوف) اتصل به هذه الليلة ، وأخطره بما سمعته الآن .

وفى أثناء ذلك ، كان (ممدوح) ممددًا فوق الفراش ، فى الغرفة المخصصة له ، وهو يطرق السمع للحوار الذى يدور بين قائد الحصن وضباطه . من خلال الميكروفون الدقيق ، الذى وضعه فى الجزء السفلى من مؤخرة المسدس الذى تركه فى قاعة الاجتماعات .. والذى كان يصعب تمييزه داخل الإطار المعدنى لهذا الجزء .

وكان ينصت لكل ما يقال من خلال سماعة دقيقة ، مثبتة بجوار أذنه وتستقبل كل الذبذبات الصادرة عن الميكروفون الخفى .

وابتسم (ممدوح) قائلًا ، وهو يستمع إلى ما قاله القائد :

ـ وهذا ما أريده على وجه التحديد .

ثم نهض من فراشه ليسير فى أرجاء الغرفة ، وهو يقول لنفسه :

ـ أرجو ألا يصاب (خالد) أو العقيد (ناصر) بسوء .. لقد اضطررت لأن أفعل هذا ، وأن أخفيه عنهما حتى تنجح خطتى .

وعاد إلى الإنصات لما يدور فى غرفة القائد .. ثم تناول طعامه ، ومنح نفسه ساعة هادئة من النوم العميق .

وفى المساء حضر أحد الضباط الشوركاسيين إلى الحجرة ، ليدعوه إلى مقابلة قائد الحصن .. واصطحبهما أحد الجنديين المكلفين بحراسته ، فى حين بقى الآخر واقفًا أمام باب الحجرة .

ودخل (ممدوح) إلى حجرة القائد الذى استقبله بترحاب ، قائلًا :

ـ لعل رجالى قد أحسنوا معاملتك .

قال (ممدوح) :

ـ فى الحقيقة لا أستطيع أن أنكر هذا .

قال القائد :

ـ هل حصلت على راحة كافية فى حجرتك ؟

رد (ممدوح) :

ـ فى الحقيقة لقد حصلت على ساعة من النوم العميق ، أعادت لى ما كنت أفتقده من نشاط .

قال له القائد ، وهو يضغط على الزر الموجود فوق مكتبه :

ـ عظيم .. والآن سيتحدث إليك أحد ضباط المخابرات الشوركاسية فى شأن ما قلته لنا اليوم .



وعائد إلى الإنصات لما يدور فى غرفة القائد ..

حضر أحد الجنود على الأثر ، فقال له :

ـ دع الضابط (بولسكى) يدخل .

حضر أحد ضابطى المخابرات اللذين التقى بهما (ممدوح) بالأمس .. حيث تحدث إليه قائلًا :

ـ لقد اتصلت بقيادتى فى المخابرات العسكرية .. وأبدوا استعدادًا للتعاون معك .. ولكننا نريد أولا أن نحصل منك على بعض الإجابات عن بعض الاستفسارات .

قال (ممدوح) :

ـ ستجدوننى فى خدمتكم .. طالما تدفعون .

سأله الضابط قائلًا :

ـ ماذا تعنى ؟

رد (ممدوح) :

ـ أعنى .. أننى لن أقدم المعلومات التى تريدون الحصول عليها منى مجانًا ، وإنما لا بد أن يكون هناك مقابل لذلك .

قال له الضابط ، وهو يتراجع بمقعده إلى الوراء :

ـ سيكون لكل شىء ثمنه عندما نصل إلى الاتفاق النهائى .

قال (ممدوح) :

ـ حسن .. وأنا مستعد للإجابة عن أسئلتكم .

ظل ضابط المخابرات يحاوره ويطرح عليه أسئلته ، وهو يقدم له إجابات زائفة أو مبهمة أحيانًا ، ويناور فى إجاباته أحيانًا أخرى .

وكان قائد الحصن .. يتدخل من آن لآخر لطرح أسئلة أو استفسار على (ممدوح) ، وأخيرًا سألهم (ممدوح) قائلًا :

ـ هل فرغتم من استفساراتكم ؟ والآن أريد أن أعرف موقفكم منى على وجه التحديد ؟

أجابه قائد الحصن :

ـ لا تتعجل الأمور .. سيصل الرد خلال يوم أو يومين .

وبحث (ممدوح) عن المسدس المزود بالميكروفون الخفى فلم يجده فى أى مكان بالغرفة ، مما يعنى أنهم قد نقلوه إلى مكان آخر .. وهذا سيقلل من فرصته فى التصنت على ما يدور داخل هذا المكان .

وقال قائد الحصن ، مِوجهًا حديثه إليه :

ـ تستطيع أن تنصرف الآن يا سيادة المقدم .

سأله (ممدوح) :

ـ هل يمكننى أن أطلب شيئًا ؟

قال قائد الحصن :

ـ وما هو ؟

رد (ممدوح) :

- هل يمكننى استرداد مسدسى الذى تركته هنا ؟

وتطلع إليه القائد وضابط المخابرات بعيون مرتابة .. وقد أثار هذا الطلب الغريب تساؤلهما .

بينما أرذف (ممدوح) قائلا :

- إننى لا أطلبه مزودًا بخزانة الرصاص بالطبع .. فأنا أعرف أننى لم أبلغ هذه الدرجة من الثقة بعد .. ولكنى أريده فارغًا ، فهذا المسدس تذكار عزيز لدى .. وأرغب فى الاحتفاظ به .

ظل قائد الحصن وضابط المخابرات يحدقان فيه ، وكأن عيونهما لا تصدق إجابته ، فاستطرد (ممدوح) قائلًا :

- يمكنكم تفتيشى للتأكد من أننى لا أحمل خزانة رصاص أخرى يمكن أن أزود بها المسدس .

قال له القائد ، وهو يتكلف ابتسامته :

- نحن لسنا بحاجة إلى ذلك يا سيادة المقدم .. فحتى لو كنت تملك خزانة رصاص إضافية فإننى أعرف أنك أعقل من أن تفكر فى استخدامها .

وفتح درج مكتبه ليتناول منه المسدس ، ويقدمه لـ (ممدوح) .

وقال له (ممدوح) وأصابعه تعبث بالإطار الملتف حول الجزء السفلى من المسدس بطريقة خفية :

- أشكرك يا سيادة القائد .. إنك لا تعرف مدى اعتزازى بهذا المسدس ، خاصة وقد حصلت عليه خلال إحدى المعارك التى كاد أن يفتك بى خلالها الأعداء .

ونجح (ممدوح) خلال حديثه ، فى جذب الميكروفون الدقيق من الإطار المحيط بمقبض المسدس .

وحاول القائد إنهاء المقابلة .. فقال له بكلمات سريعة حتى لا يجعله يستطرد :

- مفهوم .. مفهوم .

قال له (ممدوح) وهو يضع يده على ذراعى المقعد الجالس عليه ، متأهبًا للنهوض :

- آسف .. يبدو أننى أثقل عليك .. سأنصرف الآن .. ولكن هل تسمح لى بطلب آخر .

أطلق القائد زفرة قصيرة ، وقد بدأ يضيق صدره بطلبات (ممدوح) .. الذى قال له :

- هل يمكننى القيام بجولة قصيرة فى أرجاء الحصن هذا المساء ؟

قال له القائد :

- حسن .. يمكنك ذلك .. ولكن فى حراسة الجنديين .

ابتسم (ممدوح) وهو ينهض من فوق مقعده قائلًا :

- أشكرك يا سيادة القائد .

وعندما انصرف (ممدوح) من الحجرة كان قد نجح فى دس الميكروفون الدقيق فى الجزء السفلى من ذراع المقعد الذى غادره .

وفى حجرته عاد (ممدوح) لينصت إلى الحديث الدائر داخل حجرة القائد ، فسمعه يقول لضابط المخابرات :

- إن جزءًا كبيرًا من المعلومات التى قدمها إلينا صحيح .. والبعض الآخر لم يقدم لنا من خلاله إجابات واضحة .

قال له ضابط المخابرات الشوركاسى :

- ومع ذلك فإننى أرى أنه يتعين علينا ألا نثق به .

قال القائد :

- وأنا أؤيدك فى هذا الرأى .

قال ضابط المخابرات :

- إذن فما الداعى للاستمرار فى معاملته بهذه الطريقة المتميزة ؟.. ولماذا سمحت له بالتجول فى أرجاء الحصن ؟

رد القائد :

- إننى أريد كسب ثقته .. حتى أمنح عميلنا (جوزيف) الوقت الكافى لكشف الموقف بالنسبة لقيادة قوات الأمم المتحدة فى الإقليم .. والعمل على تأمين نفسه أو الهروب قبل الإيقاع به ، واستخلاص أسرار تعاملنا معه .

إننا لا نضمن ما إذا كان هناك اتفاق ما بين ذلك الرجل وقادته على الاتصال بهم فى توقيت معين أو بوسيلة ما .. وقد يؤدى التسرع فى التعامل معه إلى إفساد الأمر وإلحاق الضرر بنا ، لذا فعلينا أن نكسب ثقته ، ونحتفظ به وبرفاقه بين أيدينا ، حتى نتأكد من نجاة (جوزيف) تمامًا .

سأله الضابط الشوركاسى ، قائلًا :

- وبعد ذلك ؟

رد قائد الحصن :

- وبعد ذلك .. سيكون لنا تصرف آخر مع هؤلاء الأوغاد .. وأعتقد أنه يتعين علينا أن نتخلص منهم تمامًا هذه المرة .

ابتسم (ممدوح) فى حجرته وهو ينصت إلى ذلك قائلًا :

- سنرى ما إذا كان يمكنك أن تنجح فى ذلك أم لا .

ثم استطرد قائلًا :

- إذن .. فاسم العميل السرى (جوزيف) .

نزع (ممدوح) غطاء ساعته الخلفى ليحرك ترسًا صغيرًا بداخلها حركة دائرية قائلًا لنفسه :

- الآن نستطيع أن نلتقط الموجة اللاسلكية التى يتم عن طريقها الاتصال بذلك العميل .

ونادى حارسه قائلًا :

ـ لدى تصريح من القائد بالتجول قليلًا فى أرجاء الحصن .. فهل أنت ورفيقك على استعداد لمرافقتى ؟

قال له الحارس :

ـ إننى مستعد لاصطحابك الآن ياسيادة المقدم .

قال (ممدوح) :

ـ حسن .. هيًا بنا .

لم يكن (ممدوح) يهدف إلى السير فى أرجاء المعسكر فى حد ذاته ، وإنما كان يبحث بعينيه الخبيرتين عن منفذ للهرب من ذلك الحصن المنيع .. وذلك حينما تحين لحظة الفرار .

وفى الوقت الذى كان فيه (ممدوح) يسير بصحبة حارسه ، كان الاتصال اللاسلكى بين الحصن وبين عميل (الشوركاس) قد بدأ .

وكان (ممدوح) يعرف التوقيت على وجه الدقة من خلال تصنته على الحديث الذى دار بين قائد الحصن وضابط المخابرات الشوركاسية .

لذا فقد تظاهر بمحاولة التعرف على بعض أبنية الحصن ، وأخذ يسأل حارسه عن بعض الأماكن بفضول :

وعندما علم من الحارس أن ذلك المبنى الصغير المجاور لمبنى القيادة ، خاص بالاتصالات اللاسلكية .. تعمد أن يقترب منه .. ثم يدير مؤشر الساعة بطريقة

معينة ، ليلتقط الموجة اللاسلكية التى يتم الاتصال من خلالها بالعميل .

وعلى الفور سُجلت عدة أرقام فى أحد جوانب الساعة ، ذات دلالة محددة ، تعينه على تحديد تلك الموجة ، ومركز الاستقبال الذى يتم من خلاله تلقى الإشارات اللاسلكية .

وألقى (ممدوح) نظرة سريعة على الساعة ليتأكد من تسجيل الأرقام ، دون أن يلفت انتباه حارسه .

وما إن تأكد من التقاط الموجة اللاسلكية ، حتى طلب من الحارس أن يعود به إلى حجرته .

وكان (ممدوح) قد تعمد أن يكون ودودًا مع ذلك الحارس ، حتى يكسب ثقته . وعندما عاد إلى حجرته ، وجد الحارس الآخر واقفًا أمام الباب ، وهو يهم بإشعال سيجارة فعمد إلى إطفائها .. لكن (ممدوح) قال له بتودد :

ـ لا بأس .. أشعلها .. ولا داعى لهذه الرسميات .

قال له الحارس :

ـ لقد أحضرت لك الطعام فى حجرتك يا سيدى .

قال (ممدوح) :

ـ آه .. الطعام ، إننى لا أشعر برغبة حقيقية فى تناول الطعام .

قال له الحارس الذى يصحبه :
ـ ربما تحسنت شهيتك بعد قليل يا سيدى .
قال له (ممدوح) :
ـ أيمكنك أن تحضر لى زجاجة مياه غازية ؟
الحارس :
ـ بالطبع يا سيدى :
قال (ممدوح) :
ـ ـ حسن .. سأكون شاكرًا لو أحضرت لى زجاجة مياه غازية الآن .

وعندما رأى (ممدوح) الطعام داخل غرفته ، أطلق صفيرًا قصيرًا .. فقد أعدوا له طعامًا شهيًا بالفعل ، يحتوى على أنواع فاخرة من المأكولات ، فهتف :
ـ إنه طعام لا يحصل عليه إلا القادة بالطبع .. أما الجنود فلا يمكنهم أن يحلموا بربع ما تضمه هذه المائدة .

ونزع كعب حذائه من مكانه ليخرج منه بخاخة صغيرة فى حجم قلم أحمر الشفاه .

وأخذ يطلق رذاذها على بعض أنواع الأطعمة الشهية الموجودة أمامه ، وهو يستطرد قائلًا :
ـ حسن .. سأجعل حارسىّ المخلصين يتذوقانه .

وبعد قليل أحضر له الحارس زجاجة المياه الغازية ،

حيث كان قد عاد لإخفاء البخاخة الصغيرة والتى كانت تحتوى على مادة مخدرة .

وسأله (ممدوح) :
ـ هل تناولت عشاءك أنت وزميلك ؟

أجابه الحارس ، وهو ينظر إلى الطعام الموضوع على المائدة فى نهم ، وقد أخذ يزدرد لعابه :
ـ كلَّا يا سيدى .. إنهم سيحضرونه لنا بعد ساعة من الآن .

قال (ممدوح) :
ـ أعتقد أنهم لا يقدمون لكم أطعمة جيدة فى هذا المكان .

قال الحارس، وهو مستمر فى النظر إلى طعام (ممدوح) :
ـ لا بأس بها .
قال (ممدوح) :
ـ حسن .. ادع زميلك وتعاليا لتشاركانى هذا الطعام .
قال الحارس وهو لا يصدق أنه يمكن أن يتناول مثل هذا الطعام الشهى :
ـ ولكن يا سيدى .
قال له (ممدوح) بنبرة آمرة :

- افعل ما أقوله لك .. لقد أخبرتكما أننى لا أشعر بميل قوى لتناول الطعام الآن .. لذا فأنا بحاجة لمن يشاركنى التهام كل هذه الأطعمة ، لأنه ليس من الذوق أن تعيد لهما هذا الطعام كاملًا .. إننى أفضل أن يكون من نصيبكما ، أنتما على كل حال .

قال الحارس ، وقد ارتسمت فى عينيه ملامح النهم :

- أشكرك يا سيدى .. سأستدعى زميلى فى الحال .

وأتى الحارسان على الطعام كاملًا ، فى حين اكتفى (ممدوح) ببعض شرائح البطاطس التى لم يرشها بالمادة المخدرة ، وشرب زجاجة المياه الغازية ، حتى يبدو أمامهما وكأنه يشاركهما طعامهما .

وفى الواقع أنهما كانا فى شغل شاغل عنه ، بالتهام ما أمامهما من أطعمة ، وما إن انتهيا منه وتأهبا لمغادرة الحجرة ، حتى أحسا بأن أقدامهما لا تقويان على حملهما .

وقبل أن يصلا إلى باب الحجرة ، كانا قد تهاويا على الأرض فاقدى الوعى .

ونظر إليهما (ممدوح) قائلًا :

- بالهناء والشفاء .

ثم سارع بالاستيلاء على سلاحيهما ، وقد تعمد إخفاءهما بين طيات ثيابه ، قائلًا لنفسه :

- والآن فلنبحث عن صديقىّ .. فقد حان الوقت لمغادرة هذا المكان اللعين .

وفى تلك اللحظة كان (خالد) والعقيد (ناصر) فى حجرة التحقيقات ، يتعرضان لأسئلة واستجوابات ضابطى المخابرات الشوركاسية .. وقد نالهما نصيب من التعذيب خلال التحقيق .

وعاد ضابط المخابرات ليصيح فى (خالد) قائلًا :

- لا تجبرنى على أن أعرضك لما هو أقسى مما تعرضت له حتى الآن ، وأخبرنى ما الذى تعرفه ، ويعرفه زميلك ، عن الرجل الذى يعمل لحسابنا بين قوات الطوارئ ؟

قال له (خالد) بإعياء :

- قلت لك .. لا أعرف أى شئ عن ذلك الرجل الذى تتحدث عنه .

سمع ضابط المخابرات صوتًا يأتى من خلفه ، قائلًا :

- لقد أخبرتك بالحقيقة .. فلا أحد يعرف أمر هذا الرجل سواى .

وعندما استدار ضابط المخابرات ليرى صاحب الصوت ، وجد (ممدوح) واقفًا فى أحد أركان الحجرة ، وقد استند بكتفه إلى الجدار ، فى حين كانت فوهة سلاحه مصوبة نحوه ونحو زميله فى الحجرة .

وكانت مفاجأة ..

★ ★ ★



١١ ـ الخطـة ..

سأله الضابط بدهشة بالغة :

ـ كيف دخلت إلى هنا ؟

رد (ممدوح) :

ـ هل نسيت ؟ إننى مازلت أرتدى الثياب العسكرية لضابط شوركاسى ، وكان يتعين عليكم أن تجردونى منها .. قبل أن تضعونى فى تلك الغرفة .. فقد سهلت لى العديد من الأمور .. حتى جئت إلى هنا .

ولمح (ممدوح) الضابط الآخر ، وهو يهم بوضع إصبعه على أحد الأزرار لاستدعاء الجنود الواقفين خارج الحجرة .. فلوح له بمسدسه قائلًا :

ـ قبل أن تطأ قدما أى جندى من الواقفين بالخارج أرض هذه الحجرة ، ستكون إحدى رصاصات مسدسى قد استقرت فى رأسك .

ثم أشار إلى (خالد) والعقيد (ناصر) ، قائلًا :

ـ هيًا .. حل قيود هذين الرجلين ، بدلًا من ذلك العبث الذى تفكر فيه . ووقف الرجل مترددًا لبرهة من الوقت .. لكن زميله هز له رأسه لكى يمتثل لذلك .

وقال له (ممدوح) وهو يشير له بالاقتراب منه ، بينما الآخر يحل قيود الرجلين :

ـ إنك أكثر تعقلًا من زميلك .. لذا سأجعلك تصحبنا إلى الخارج . وأريد منك أن تحافظ على هذه الحكمة والتعقل اللذين تظهرهما حتى نغادر هذا المكان .

وما إن انتهى الآخر من حل قيدى الرجلين ، حتى التفت (خالد) إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ كنت أعرف أنك لا يمكن أن تخوننا

نظر إليه (ممدوح) قائلًا :

ـ يؤسفنى ما لحق بكما من أذى بسببى .. فى الحقيقة لقد اضطررت للوشاية بكما برغم ما فى ذلك من مخاطرة .. ولكنى كنت أهدف من وراء ذلك لتحقيق هدف أكبر .. وكان فى تقديرى أننى سأعمل على إنقاذكما فى النهاية مهما كلفنى ذلك من ثمن .

ثم ألقى إليهما بالأسلحة التى استولى عليها من الجنديين اللذين كانا مكلفين بحراسته ، قائلًا :

ـ احرصا على إخفاء هذه الأسلحة بين طيات ثيابكما ، حتى لا تلفتا الأنظار فى الخارج .

ونظر إلى (خالد) قائلًا وهو يشير بمسدسه إلى الضابط الذى حل قيودهما :

ـ تولَّ تقييد هذا الرجل ، واعمل على منعه من الكلام .. أو إصدار أى صوت بعد مغادرتنا لهذا المكان .

والتفت إلى العقيد (ناصر) قائلًا :

ـ وأنت يا سيادة العقيد ، ضع القيود المعدنية حول رسغيك ، وتظاهر بأنك ما زلت مقيدًا ، وأننا نقودك إلى السجن .. وكذلك أنت يا (خالد) .

نفذ (خالد) والعقيد (ناصر) ما طلبه منهما (ممدوح) الذى دفع الضابط الآخر أمامه قائلًا :

ـ وأنت تقدمنى إلى الخارج ، وسأكون خلفك بخطوة واحدة ، وأمامنا كل من (خالد) والعقيد (ناصر) .

مُر جنودك بألا يصحبونا فى الطريق .. وقل لهما اننا سنتولى الأمر بأنفسنا .

أى تصرف يخالف ذلك ، سيعنى بالنسبة لنا مواجهة مع الموت .. وربما قتلنا جميعًا برصاص أولئك الجنود .. ولكن قبل أن يحدث ذلك عليك أن تتذكر أننى ما زلت أحتفظ بالمسدس فى يدى ، مختفيًا فى جيب سترتى .. وأننى لن أتردد فى تصويبه على رأسك لتموت معنا أو قبلنا .

عليك أن تبقى محتفظًا بحكمتك وهدوئك ، وإلا ستكون أول من يموت بيننا .

نظر إليه ضابط المخابرات بغيظ مكظوم ، وهو يجز على أسنانه .

وفتح (ممدوح) الباب ليتقدم الرجلان متظاهرين بأنهما ما زالا مكبلين بالقيود الحديدية .

وخلفهما سار ضابط المخابرات الشوركاسية .. وخلفه (ممدوح) بخطوة واحدة ويده قابضة على المسدس الذى يحتفظ به فى جيب سترته .

وتأهب جنديان من الجنود الأربعة الواقفين بالخارج ، لاصطحابهما ، وهما يحملان سلاحيهما .. لكن الضابط الشوركاسى قال لهما :

- لا داعى لذلك .. سنصطحب السجينين بأنفسنا إلى أحد الأماكن قبل إعادتهما للسجن .. انتظروا أنتم هنا حتى يلقى إليكم الميجور (كراسكى) بأوامره .. لأنه سيحتاج إليكم .

وأضاف (ممدوح) قائلًا :

- وحذار من إزعاجه قبل أن يستدعيكم بنفسه .. فهو مستغرق فى إعداد تقرير هام .

وفى الواقع كان الرجل فى تلك اللحظة مكبلًا بالقيود ، وقد وضع رباط لاصق حول فمه ، ليحول بينه وبين الكلام أو إصدار أى صوت .

وامتثل الجنود للأمر .. فى حين غادر (ممدوح) والمجموعة التى تصحبه المكان ، إلى الخارج ، دون أن يتعرض لهم أحد .

ونظر (ممدوح) إلى إحدى الدبابات الرابضة بالخارج ، قائلًا :

- دعنا نقترب من هذه الدبابة .

وعندما أصبحوا بالقرب من الدبابة ، تلفت (ممدوح) يمينًا ويسارًا ليتأكد من أن أحدًا لا يلحظهم .. ثم رفع يده بالمسدس عاليًا ، وانهال بمؤخرته على رأس الضابط من الخلف .. فسقط على الأرض فاقدًا الوعى .

ووثب (ممدوح) سريعًا فوق جسم الدبابة المعدنى ، طالبًا من (خالد) مساعدته فى حمل الرجل الفاقد الوعى .. حيث قام بفتح الباب الدائرى المعدنى للدبابة من أعلى .. ثم ألقى بالضابط الشوركاسى داخلها ، وأغلق عليه بابها .

ونفض (ممدوح) يده قائلًا :

- الآن نكون قد تخلصنا من هذه المشكلة .

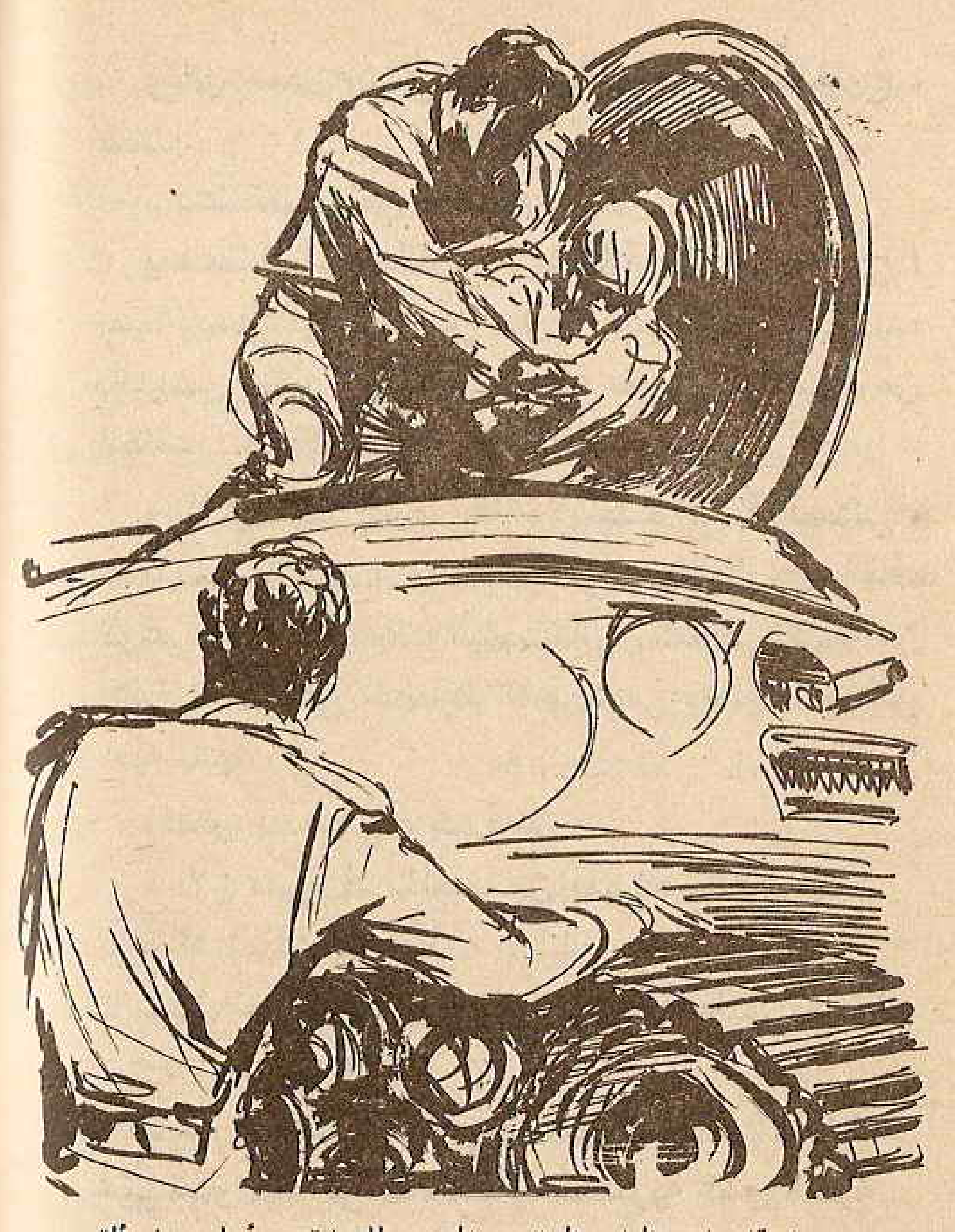
سأله (خالد) :

- هل نستطيع الآن أن نتحلل من قيودنا ؟

رد (ممدوح) :

- نعم تستطيع ذلك .. وعليك أن تصلح من هندامك .. حتى تبدو لائقًا فى هذه الثياب العسكرية الشوركاسية .

ثم التفت إلى العقيد (ناصر) قائلًا :


حيث قام بفتح الباب الدائرى المعدنى للدبابة من أعلى ، ثم ألقى بالضابط الشوركاسى داخلها ..

إن ما ينقصنا الآن هو أن يرتدى العقيد (ناصر) زيًّا مناسبًا .

وما لبث أن استطرد قائلًا :

ـ عليك أن تقفز إلى داخل الدبابة بدورك ، لتجرد ذلك الضابط من ثيابه وترتديها .. ثم تقبع جالسًا فى انتظارنا .. فما زال أمامنا بعض العمل لتؤديه .

قال له العقيد (ناصر) :

أريد أن أشارككما هذا العمل .

قال (ممدوح) :

ـ ما زال أمامنا العديد من الأعمال التى ستشاركنا فيها .. المهم الآن أن تسرع بالدخول إلى هذه الدبابة ، واستبدال ثيابك بثياب ضابط المخابرات الشوركاسى ، ثم تنتظرنا حتى نأتى إليك .

وثب العقيد (ناصر) فوق الدبابة قائلًا :

ـ حسن .

والتفت إليه (ممدوح) وهو يصحب (خالد) إلى جهة أخرى ، قائلًا :

ـ وإذا استرد الرجل وعيه فبالتأكيد ستعرف كيف تتعامل معه .

قال له العقيد (ناصر) بثقة :

ـ بالطبع .. وسيسعدنى هذا ، بعد كل ما لاقيته منه .

وسأله (خالد) قائلًا :

ـ ما هو الهدف الحقيقى الذى دفعك للإرشاد عنا ، بعد الجهد الذى بذلناه فى الهرب من السجن ؟ كنت أظن أن هدفنا الذى جئنا من أجله ، هو إنقاذ العقيد (ناصر) من سجنه ، وإثبات تورط الشوركاسيين فى خرق اتفاق الهدنة .. والاعتداء على قوات الطوارئ .. وأعتقد أننا نجحنا فى ذلك ، بتحرير العقيد (ناصر) من سجنه ، ولم يتبق أمامنا سوى الهرب من هذا الحصن .

قال (ممدوح) ، وهو يتطلع إلى بعض الجنود المارين أمامه :

ـ ما لم تعرفه هو أننى كلفت بهدف آخر أكثر أهمية من ذلك .

سأله (خالد) :

ـ وما هو ؟

رد (ممدوح) :

ـ معرفة اسم رجل يعمل لحساب (الشوركاس) بين قوات الطوارئ الدولية .

رجل يمدهم بكل المعلومات الخاصة بتحرك قوات (البورساك) ، والأماكن التى سيخلونها ، وتحركات قوات الأمم المتحدة .. ويستغل موقعه الهام فى تضليل قيادة

القوات ، وتقديم معلومات وبيانات زائفة وغير محايدة حول الطرف الذى يقوم بخرق اتفاق الهدنة .

قال (خالد) :

ـ لقد كانوا يستجوبوننا بشأن هذا الأمر .. ولكننى بالطبع لم أكن أعرف شيئًا بشأنه .. لماذا لم تطلعنى على أن هناك هدفًا آخر لمهمتنا ؟

رد (ممدوح) :

ـ كان للمهمة طابع سرى يتعلق بى وحدى ويتعين علىّ إخفاؤه .

سأله (خالد) :

ـ هل يعنى هذا أننى لم أكن موضع ثقة كاملة ؟

رد (ممدوح) :

ـ كلّا بالطبع .. ولكن كان يتعين علينا إخفاء هذا الأمر على الجميع ، عدا شخص أو اثنين فقط ، داخل قيادة قوات الطوارئ ، لأن الجميع كانوا موضع شك بهذا الشأن ، خاصة وأن المعلومات التى توصلت إليها مخابرات القوات الدولية لم تستطع أن تحدد اسم هذا الشخص أو موقعه .

سأله (خالد) :

ـ وهل نجحت فى ذلك ؟

رد (ممدوح) :

إلى حد ما .. والآن يجب أن تعرف أن أمر هروبنا من هذا المكان ، سيكون غاية فى الصعوبة .. لذا فنحن سنحتاج إلى شغل كل من فى هذا الحصن ، وتشتيت انتباههم ومجهودهم فى عدة جهات ، وفى أكثر من موقع ، عندما تتأزم الأمور .

سأله (خالد) :

- ماذا تعنى ؟

رد (ممدوح) :

- أعنى أنه يتعين علينا أن نثير لهم العديد من المتاعب ، إذا ما فكروا فى ملاحقتنا .

قال (خالد) :

- ما زلت لا أفهم ؟ كيف سيمكنك أن تحقق ذلك ؟

أجابه (ممدوح) :

- ستفهم كل شىء عندما نذهب معًا إلى مخزن الذخيرة والمفرقعات الخاص بهذا الحصن .

نظر إليه (خالد) بدهشة قائلًا :

- مخزن الذخيرة والمفرقعات !!

قال (ممدوح) :

- نعم .. وعلينا أن نتحرك سريعًا ، قبل أن يكتشفوا أمرنا ، ويعرفوا أننا قد نجحنا فى الهرب ، وإلا باءت خطتنا بالفشل ..

الفشل الذريع ..

★ ★ ★



١٢ ـ الخطر الداهم ..

اقترب (ممدوح) و (خالد) من مخزن الذخيرة والمفرقعات ، وقال الأوَّل للجندى المكلف بحراسة المخزن بلهجة آمرة :

ـ افتح باب المخزن .

قال له الجندى بارتباك :

ـ آسف يا فندم .. ليس لدى أوامر بذلك .

قال (ممدوح) ، وقد علت نبرات صوته مستغلًا عجرفة الضباط الشوركاسيين :

ـ أنا الذى يصدر الأوامر .. ألا ترى الرتبة التى أحملها فوق كتفى ؟

قال الجندى ، وقد ازداد ارتباكه :

ـ نعم يا فندم .. ولكن كما تعلم لدى تعليمات بعدم فتح مخزن الذخيرة والمفرقعات ، إلا بناء على أوامر من قائد الحصن ، أو رئيس الأركان .

حاول (ممدوح) استدراك الموقف فقال له :

ـ آه .. نسيت .. إننى جئت بناءً على أوامر من قائد الحصن للتفتيش على المخزن .

سأله الجندى :

ـ هل يمكننى الاتصال بقائد الحصن ، للتأكد من ذلك ؟ فسيادتك تعرف صرامة الأوامر .

قال له (ممدوح) بصوت أكثر حدة :

ـ افعل ما شئت ، ولكن افتح لى هذا المخزن أولًا ، وإلا عرضت نفسك لعقاب عسكرى لا يقل صرامة عن مخالفتك للأوامر .

وفى تلك اللحظة اقترب أحد الضباط ، حيث أثار انتباهه صوت (ممدوح) العالى فسأل ، قائلًا :

ـ ماذا يدور هنا ؟

قال له الجندى بصوت مرتعش :

ـ سيادة الضابط يقول ...

لكن الضابط الشوركاسى قاطعه وهو يدقق النظر فى وجه (خالد) قائلًا :

ـ من أنتما ؟ إننى أعرف هذا الرجل ، إنه أحد الشخصين اللذين تسللا إلى الحصن اليوم ، وتم إلقاء القبض عليهما وهما ينتحلان صفة الضباط الشوركاسيين .

وقبل أن يبدأ الضابط الشوركاسى فى القيام بأى تصرف ، كان (ممدوح) قد هجم عليه ، وكال له لكمة قوية جعلته يترنح ، ثم أعقبها بأخرى طرحته أرضًا

بلا حراك ، فى حين سارع (خالد) بتصويب مسدسه نحو الجندى قائلًا :

ـ ألق بهذا السلاح على الأرض ، وإلا أطلقت عليك الرصاص .

امتثل الجندى للأمر الصادر إليه ، فى حين جذب (ممدوح) الضابط على الأرض وهو يصيح فى الجندى قائلًا :

ـ افتح باب المخزن فى الحال .

وعندما بدا التردد على وجه الجندى .. صاح (ممدوح) فى (خالد) قائلًا :

ـ عِدّ من واحد إلى ثلاثة ، فإذا لم يفعل أطلق عليه الرصاص .

قال (خالد) :

ـ أمرك يا فندم .

ثم تحول إلى الجندى وهو يصوب إليه المسدس ، وقد بدأ فى العدّ .

وأتى التهديد بأثره فى الحال ، إذ سارع الجندى بفتح باب المخزن .. حيث طلب منه (خالد) أن يتقدمهما إلى الداخل .. فى حين جذب (ممدوح) الضابط الفاقد الوعى إلى الداخل أيضًا .. معهما .

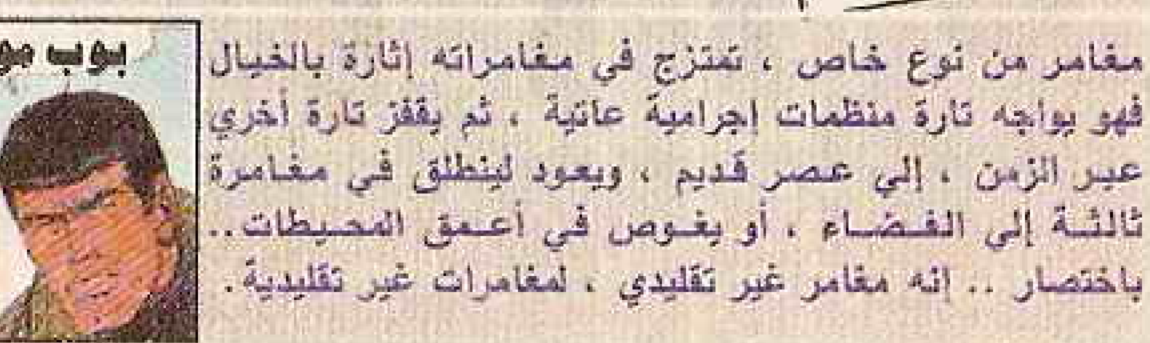
صحفي شاب ، في جريدة (الرافال) الفرنسية ، يواجه ألغازًا وأحداثًا بوليسية غامضة ومثيرة ، مع صديقه المفتش (بوردو) وصديقته (نادين) ، وتدور مغامراته دائمًا في إطار حركي بوليسي يحبس الأنفاس ، لا تنزاح فيه الأستار عن السر، إلا في اللحظات الأخيرة ، بعد أن يبلغ الغموض والإثارة مبلغهما ....

بطل سباق سيارات ، يسعى لإثبات تفوق طرز السيارات، التي تنتجها مصانع والده ، ولكن التنافس الهائل في هذا المجال ، لم يعد يصلح لعالم الشرفاء . ففي سبيل الفوز ، يتصور البعض أن كل شيء مباح، من الخداع ، وحتي أبشع الجرائم ، وعلي (ميشيل فايان) أن يتصدي لكل هذا .. وأن يفوز في النهاية ...



رجل مخابرات أمريكي ، تلقي تدريبات خاصة ، أهلته للقيام بمغامرات وعمليات بالغة الدقة والخطورة ، ويقود فريقًا من أقوي فرق العمليات الخاصة ، مع رجاله (جوشو موراليس) ، و(تكساس برونكو) ، و(بيج بوي) ، و (الرحال) ، والفاتنة (ويب رفال) حيث يواجهون خصومًا يناسبون فريقهم المعروف .

فريق هزلي من عالم رعاة الأبقار ، في قلب الغرب الأمريكي ، تدور مغامراته مع (شيك بيل) وصديقه الهندي الصغير ، مع مواجهاتهما المستمرة للمأمور (دوج بول) ، ومساعده العبقري (كيد أوردين) ...... وفي كل مغامرة تتألق عبقرية (كيد أوردين) ، لتزيد من أعباء (شيك بل) ، في مواجهة مخاطر الغرب الأمريكي القديم .



مغامر من نوع خاص ، تمتزج في مغامراته إثارة بالخيال فهو يواجه تارة منظمات إجرامية عاتية ، ثم يقفز تارة أخري عبر الزمن ، إلي عصر قديم ، ويعود لينطلق في مغامرة ثالثة إلى الفضاء ، أو يغوص في أعمق المحيطات.. باختصار .. إنه مغامر غير تقليدي ، لمغامرات غير تقليدية .

ضابطا شرطة ، في البوليس الأمريكي ، يعشقان قيادة السيارات ، ولكنهما يواجهان دائمًا عتاة المجرمين ، ويدخلان معهم في صراعات عنيفة ومثيرة ، يقودان خلالها كل أنواع السيارات ، في مختلف المواقف والصعوبيات .. والمشكلة الوحيدة التي تواجه رجال الشرطة بشأنهما ، هي أنهما يتلفان كل سيارة يستخدمانها .. فقط .



ضابط أمن بريطاني كلاسيكي ، تدور مغامراته دائمًا في إطار مزدوج ، يجمع ما بين الغموض والإثارة واللذة والفكاهة ، وعلي الرغم من تقاليده الإنجليزية العريقة ، وعشرا ت القطط التي تملأ منزله ، وسيارته القديمة ، إلا أنه يهوي التقدم ، ولا يتردد عن التصدي لكل جرائم التكنولوجيا الحديثة ..



عالم فرنسي شاب ، يسعى مع زميلته (لورا) للنشر التقدم العلمي ، ولكنهما يواجهان في كل مرة الجانب الآخر للعلم .. الجانب المظلم ، حيث يستغل البعض تقنيات التقدم العلمي لتحقيق منافع شخصية ، ولو كان هذا علي حساب العالم أجمع.. ويكون على (ليك) و (لورا) أن يواجها العديد من ألوان الخطر ، وبخاصة ذلك الخطر ، الذي يمثل مجال تخصصهما .. الخطر العلمي .

طيار كندي شاب ، تمتلئ حياته بالمغامرات المثيرة والأحداث الغامضة ، التي تؤهله لمواجهتها طبيعته الحاسمة ، وقدراته المتفوقة .. ومغامراته لا تنتهي قط ، حيث تبدأ في السماء ، أو تصعد إلى الفضاء ، أو تواجه أطباقًا طائرة مجهولة الهوية ، أو تتجمد في ثلوج القطب .. تحت الصفر ..



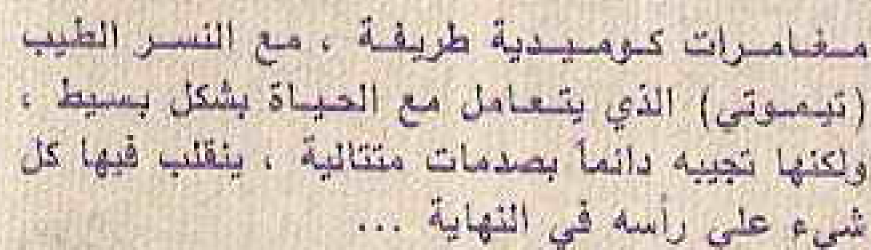
قبطان اليخت (كورموران) الذي يواجه مغامرات مثيرة وعنيفة .. في أثناء عمله علي اليخت ، ويشاركه مغامراته شقيقه الصغير في بعض الأحيان ، أو صديقه البحار القديم (جوردان) ، الذي يكره التقاليد ، ويميل إلى التلقائية ، واليخت يتنقل بمغامراتهم من الصحاري إلى الثلوج ، ومن الشرق إلي الغرب وبلا توقف ..




في عالم الغرب القديم ، حيث كان صوت المسدس أعلى من اللسان ، تحاول (كومانشي) إقامة مزرعتها ، ولكنها تواجه مخاطر لا حصر لها ، إلا أن القدر يرسل إليها (ريد داست) ، ليتعاونا مع (تن جالونز) ، في التصدي للخطر ، ومواجهة كل مشكلات الغرب ، من أجل (كومانشي) .

مغامرات مثيرة وسريعة ، بين (روبين هود) ، حامي حمى غابات (شيرود) ، والمأمور (أولويل) ، الذي يعتبر (روبين) من الخارجين علي القانون ، ويسعى دائما للسيطرة عليه ، ولكن ..... من يربح في النهاية ؟!

في عصور ما قبل التاريخ ، ووسط تحديات لا حصر لها ، يحيا (تونجا) ، رجل العصور القديمة ، الذي يواجه مشكلات عصره ومتاعبه ، بروح حاسمة ، وحزم لا يلين ، ويتصدي لكل من يحاول تهديد قبيلته ، من وحوش حيوانية أو آدمية ... ومشكلات هذا العصر لا تهدأ أبدا ..



مغامرات كوميدية طريفة ، مع النسر الطيب (تيموتي) الذي يتعامل مع الحياة بشكل بسيط ، ولكنها تجيبه دائماً بصدمات متتالية ، ينقلب فيها كل شيء علي رأسه في النهاية ...




أطرف مغامرات مصورة في عالم البنات ، مع الصديقات الثلاث : (چولي) ، و(كلير) ، و(سيسيل) ، تجد فيها كل ما يحدث في عالم الشباب ، وكل ما يواجه بطلاتنا من مشكلات ، في إطار هزلي طريف ، لا تملك معه إلا أن تبتسم .

أطرف وأضخم كلب في العالم ، يحيا مع صاحبه العم (سيمافور) ، الذي يهوي الاختراعات والابتكارات ، التي يروح ضحيتها دائما (كعبول) المسكين ، الذي يحاول الفرار من العم (سيمافور) فيقع في قبضة القط الشقي ...

وداخل المخزن ، أمر (ممدوح) (خالد) بأن يراقب الجندى والضابط الفاقد الوعى ، بينما أخذ يبحث عن أنواع معينة من المتفجرات التى يمكن تفجيرها عن بعد بوساطة جهاز تحكم (ريموت كونترول) .

وبالفعل نجح فى الحصول على بغيته ، حيث حمل مجموعة من المتفجرات وجهاز التحكم ، وطلب من (خالد) اللحاق به بعد إغلاق باب المخزن على الضابط والجندى . وما إن غادرا المخزن ، حتى وجدا ثلاثة من الجنود فى طريقهما ، وقد أدهشهما رؤية ضابطين يحملان متفجرات بين أيديهما على هذا النحو .. خاصة وقد رأيا مخزن الذخيرة بلا جندى حراسة .

وهتف أحدهم ، قائلًا :

- هذان الرجلان ليسا من ضباط الجيش الشوركاسى ، إنهما الرجلان اللذان تم القبض عليهما اليوم .

ونظر (ممدوح) إلى (خالد) قائلًا :

- هل أنت مستعد ؟

قال له (خالد) :

- على أتم الاستعداد .

قال (ممدوح) :

- حسن .. هيًا بنا .

ووضعا المتفجرات على الأرض ثم سارعا بمهاجمة

الجنود الذين لم يكونوا يحملون أسلحة ، حيث دارت بينهما معركة قصيرة ، انتهت بالتغلب على الجنود الثلاثة وطرحهم أرضًا .

وكان أهم ما يشغل (ممدوح) فى أثناء عراكه مع الجنود ، هو ألا يلحظهم أحد حتى لا يجلب إليه المزيد من الأعداء .. لذا فقد عمد إلى تسديد أقوى ما لديه من لكمات ، واستخدام أبرع وسائل الفنون القتالية التى يجيدها ، لينهى هذه المعركة سريعًا .. قبل أن يراهم الآخرون .

وبالفعل نجح هو وزميله فى ذلك ، حيث سارعا بإخفاء الجنود الفاقدى الوعى داخل إحدى الدشم العسكرية .

ثم التفت إلى (خالد) قائلًا :

- بعد فترة قصيرة من الوقت ، سيصبح الموقف أكثر تأزمًا .. خاصة عندما يدركون إختفاءنا ، وعندما يسترد هؤلاء الجنود وعيهم .. لذا علينا أن نعمل بأقصى ما لدينا من سرعة .

وقام (ممدوح) و (خالد) بزرع عدد من المتفجرات فى عدة أماكن من الحصن ، كلما سنحت لهما الظروف فى القيام بذلك دون لفت الأنظار .

وما لبثت أن دوت صفارات الإنذار داخل الحصن لتنذر بهروب السجناء الثلاثة .

وقال (ممدوح) لـ (خالد) وهو ينصت إلى صوت الصفارات :

- ألم أقل لك ؟

رد (خالد) :

- علينا أن نسارع بالهرب الآن .

قال (ممدوح) :

- بقى مكان واحد يتعين علينا أن نزرع فيه ما تبقى من متفجرات .

قال له (خالد) :

- لم يعد لدينا الوقت الكافى .

فقال (ممدوح) :

- إنه أهم مكان فى الحصن ، وسيكون عامل إعاقة هام للغاية ولجنود الحصن ، لكى لا يلحقوا بنا ، وتنصبّ اهتماماتهم عليه .

نظر إليه (خالد) بدهشة قائلًا :

- هل تقصد مركز القيادة ؟

رد (ممدوح) :

- تمامًا .

نظر (خالد) إلى مركز القيادة الذى كانا يرقبانه عن بعد ، قائلًا :

ـ ولكن ألا ترى أنه محاط بحراسة مشددة للغاية ، تحول دون الوصول إليه ؟

قال (ممدوح) :

ـ نعم .. أرى ذلك .. لذا فلن نخاطر بالاقتراب منه .

سأله (خالد) :

ـ إذن كيف ستضع المتفجرات هناك ؟

نزع (ممدوح) أحد طرفى الغطاء الجلدى الذى يغلف الحزام الملتف حول خصره ، ليجذب من داخله سهمًا معدنيًا له طبقة شفافة .. قائلًا لـ (خالد) :

ـ بوساطة هذا .

نظر (خالد) إلى السهم بدهشة ، قائلًا :

ـ ما هذا ؟

رد (ممدوح) :

ـ ستعرف بعد قليل .

ثم قدم له كاتمًا للصوت ، قائلًا له :

ـ أسرع بتركيب كاتم الصوت هذا على مسدسك ، ثم أطلق رصاصة لتستقر فوق السطح العلوى لمقر القيادة .

وبرغم أنه لم يستطع أن يفهم الغرض من وراء ذلك ،

إلا أنه نفذ ما طلبه منه (ممدوح) ، وصوّب رصاصته لتنطلق من خلال كاتم الصوت ، لتستقر فوق السطح العلوى لمقر قيادة الحصن .

وكان (ممدوح) فى نفس اللحظة قد ثبت السهم فى كتلة المتفجرات ، بوساطة رباط مطاطى .. ثم قام بإدارة عجلة صغيرة فى نهاية السهم ، وألقى به فى الهواء فى اللحظة التى أطلق فيها (خالد) رصاصته .

وتتبع السهم المصدر الحرارى للطلقة ، حاملًا شحنته من المتفجرات ، ليستقر فى نفس الموقع الذى استقرت فيه .

وقال (خالد) لـ (ممدوح) :

ـ هل تستطيع أن تشرح لى هذا ؟

قال (ممدوح) :

هذا السهم من نوعية خاصة ، فهو يتتبع المصدر الحرارى الناتج عن إطلاق الرصاصة .. والمفروض فيه أن يعمل على تفجيرها فى الهواء قبل أن تصل إلى الهدف .. سواء كانت رصاصة أو قنبلة أو صاروخًا أو أى مصدر حرارى آخر .. وذلك إذا ما تم تزويده بنوع خاص من القنابل ، التى تقوم بهذا التفجير إلكترونيًا .

لكنى جهزت مؤشره لكى يكتفى بحمل شحنة

المتفجرات ، لكى تتبع الرصاصة ، ويستقر على مقربة منها فقط ، حتى يمكن استخدام شحنة المتفجرات فى الوقت الذى يناسبنا فقط .

قال (خالد) والدهشة ما زالت ترتسم على وجهه :

- يا له من ابتكار !!

قال (ممدوح) :

- والآن لنسرع بالهرب .. فلم يعد لدينا وقت للإعجاب بالمبتكرات الحديثة ، فكما ترى إنهم يجوبون المكان بحثًا عنا .. وعلينا أن نبادر بالفرار .

وانطلق (ممدوح) و (خالد) يعدوان فى اتجاه الدبابة التى ينتظرهما العقيد (ناصر) بداخلها . ولكن ما كادا يخطوان عدة خطوات بعيدًا عن الجدار الذى كانا يحتميان به حتى اعترضتهما دورية مسلحة من الجنود .

وتبادل (ممدوح) معها إطلاق الرصاص على نحو جذب انتباه الجميع داخل الحصن .

وهتف (خالد) قائلًا لـ (ممدوح) :

- لقد تأزم الموقف .. ولن نستطيع أن نواصل هذه المعركة بأسلحتنا المتواضعة ضد كل هؤلاء الجنود .

قال له (ممدوح) مشجعًا :

- لا تقلق ما زال لدى سهم آخر من تلك السهام الإلكترونية .

وزوّد (ممدوح) السهم الذى يحمله فى يده بقنبلة يدوية .. ثم أطلقه فى الهواء ، وعلى الفور تتبع السهم كل الطلقات المصوبة فى اتجاه (ممدوح) ، ليجتذبها إليه ثم يتجه بها صوب الجنود ، وينفجر بالقنبلة التى يحملها فوق رءوسهم .

وقال (ممدوح) لـ (خالد) وهو يطلق رصاص مسدسه على الجنود الذين لحقت بهم العديد من الخسائر :

- والآن علينا أن نخترق صفوفهم ، مستغلين عامل المفاجأة ، لنصل إلى الدبابة .

وبالفعل نجح (ممدوح) و (خالد) فى تخطى أفراد الدورية المسلحة ، بهجوم انتحارى سريع .

ولكن قبل أن يصلا إلى الدبابة ، اعترضتهما دورية مسلحة أخرى ، تضم عددًا أكبر من الجنود .

وانطلقت الرصاصات صوبهما ، فصاح (ممدوح) فى (خالد) ، وهو يشير إلى بعض الأكياس الرملية التى تحمى أحد المواقع العسكرية :

- اقفز وراء تلك الأكياس فورًا .

أطاع (خالد) الأمر فى الحال .. بينما تحصن (ممدوح) وراء إحدى الدشم الأخرى ، وهو يفحص ما تبقى فى مسدسه من رصاصات .

وأدرك أن الموقف قد أصبح خطيرًا بالفعل .. فلم يعد متبقيًا فى خزانة مسدسه سوى طلقتين فقط .. وبالطبع فإن موقف (خالد) لا يقل عنه سوءًا .. ولن يستطيعا أن يصمدا أمام الأسلحة التى يحملها هؤلاء الجنود الذين يتقدمون نحوهما .. ولن تحميهما تلك الأكياس الرملية وتلك الدشم من رصاص أعدائهم طويلًا .

وبالفعل كان الجنود يتقدمون صوبهما ، وهم يطلقون وابلًا من رصاص أسلحتهم ، ليحولوا بين (ممدوح) و (خالد) ، والإقدام على أية محاولة لإطلاق الرصاص ، أو حتى الارتفاع برأسيهما فوق الأكياس الرملية .

وفى تلك اللحظة تحركت الدبابة التى يكمن بداخلها العقيد (ناصر) صوب هؤلاء الجنود المسلحين .

وانقلبت كل الموازين ..

★ ★ ★



وأدرك أن الموقف قد أصبح خطيرًا بالفعل ، فلم يعد متبقيًا فى خزانة مسدسه سوى طلقتين فقط ..

١٣ ـ كتلة من الجحيم ..

أطلق العقيد (ناصر) نيران مدافع الدبابة صوب الجنود ، وهو يتحرك فى اتجاههم .

وعلى الفور سادت حالة من الهرج والمرج بين الجنود ، الذين فوجئوا بهذا الهجوم غير المتوقع ، وقد تساقطوا بين قتلى وجرحى .. فى حين عمل بعضهم على الهرب إزاء هذا الوحش المعدنى ، الذى يتقدم نحوهم .

وابتسم (ممدوح) وهو يرى ما حدث ، قائلًا :

ـ توقيت مناسب تمامًا يا سيادة العقيد .

ثم اندفع من وراء الأكياس الرملية ، ليتناول أحد المدافع الآلية التى تركها الجنود الهاربون .. مصوبًا رصاصة نحو من تبقى منهم للمقاومة .

وكذلك فعل (خالد) الذى غادر الدشمة ليشارك العقيد (ناصر) و (ممدوح) مقاومة جنود الحصن .

وبدأ جميع الجنود والضباط داخل الحصن يتحركون صوب موقع إطلاق الرصاص ، فى حين سارع (ممدوح) و (خالد) بالوثوب على الدبابة وكل منهما يغطى الآخر بإطلاق الرصاص ، حتى نجحا فى التسلل إلى داخلها .

وفى تلك اللحظة وقف قائد الحصن أمام مقر قيادته ، وقد استشاط غضبًا ليصدر أوامره إلى رئيس العمليات قائلًا :

ـ دع الجنود ينسفون هذه الدبابة بقذائف الأربى . جيه .

قال رئيس العمليات بتردّد :

ـ لكنها إحدى دبابات الحصن .

قال له القائد بتصميم :

ـ لا يهم .. يجب ألا نسمح لهؤلاء الأوغاد بالهروب ، وإلحاق المزيد من الخسائر بجنودنا .. لذا أريد تدمير هذه الدبابة بمن فيها .

أسرع رئيس العمليات لتنفيذ أوامر قائده ، قائلًا :

ـ أمرك يا سيادة القائد .

وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) يهنئ العقيد (ناصر) على حسن تصرفه وتدخله فى الوقت المناسب ، قائلًا :

ـ لقد قمت بعمل رائع يا سيادة العقيد .. لم أكن أعرف أنك تجيد قيادة دبابة على هذا النحو .

قال له العقيد (ناصر) ، وهو يطلق عدة قذائف من مدفع الدبابة صوب الجنود الذين يحاولون مهاجمتهم بالقنابل اليدوية :

ـ إننى ضابط فى سلاح المدرعات يا سيادة المقدم .. لذا فأنا معتاد على قيادة الدبابات .

وفى تلك اللحظة كان أحد الجنود الشوركاسيين ، قد نجح فى القفز فوق الدبابة ، وقام بفتح غطائها العلوى ، حيث هم بإلقاء قنبلة بداخلها .. وتنبه (ممدوح) فى الوقت المناسب . فى أثناء فتح الغطاء .. فسارع بإطلاق عدة طلقات من مدفعه صوب الرجل قبل أن يلقى بالقنبلة .

وسقط الجندى من فوق الدبابة ، تسبقه قنبلته ليهوى فوقها فتنفجر فيه وتحوله إلى أشلاء ممزقة .

وقال (ممدوح) للعقيد (ناصر) :

ـ الآن يتعين علينا أن نتحرك بهذه الدبابة صوب بوابة الحصن المعدنية .

وتحرك العقيد (ناصر) بالدبابة نحو بوابة الحصن ، تنفيذًا لأوامر (ممدوح) .. وهو يطلق نيران مدفعها فى اتجاهات مختلفة .

وقبل أن يتمكن من الوصول إلى بوابة الحصن .. اهتزت الدبابة بقوة ، كما لو كانت على وشك أن تنقلب بمن فيها .

وهتف (خالد) :

ـ الآر . بى . جيه .. إنهم يطلقون على الدبابة قذائف الآر . بى . جيه .

ارتجف العقيد (ناصر) قائلًا :

ـ إنهم على وشك تدمير الدبابة بهذه القذائف .. فلن تتحمل قذيفة أخرى .

قال (ممدوح) وهو يتناول جهاز التحكم عن بعد :

ـ الآن .. قد حان وقت تقديم بعض الألعاب النارية ، التى تشتت انتباههم .

واصل طريقك لتحطم البوابة المعدنية .

وأنت يا (خالد) .. حاول أن تحول بينهم وبين استخدام تلك القذائف ، باستخدام سلاحك .

واصل العقيد (ناصر) طريقه نحو البوابة ، فى حين أطل (خالد) برأسه من فتحة الغطاء المعدنى ، وهو يصوب طلقات مدفعه نحو الجنود الذين يحاولون تتبع الدبابة ، وإصابتها بقذائف الآر . بى . جيه .

أما (ممدوح) فقد أخذ يضغط على أزرار جهاز التحكم الإلكترونى ، لتفجير المتفجرات التى قام بوضعها فى مواقع مختلفة من الحصن ، محدثة دويًا هائلًا وهرجًا ومرجًا فى كل مكان .

وتقدمت الدبابة لتحطم البوابة المعدنية للحصن .. وسط هذا الجحيم الذى اشتعل فى المكان ، دون أن يقوى الجنود الواقفون لحراستها على المقاومة ، لكن أحد الجنود الذى كان قائمًا على الحراسة فوق أحد الأبراج المعدنية المطلة على الحصن ، والقائمة بجوار البوابة ، تمكن من إطلاق رصاصة من بندقيته الآلية صوب (خالد) فأصابه بإصابة دقيقة فى رأسه ، جعلته يتهاوى داخل الدبابة .

واندفع (ممدوح) نحوه ، وهو يهتف ، قائلًا :

- (خالد) .

فتح (خالد) عينيه بصعوبة ، والدماء تنزف منه ، لتتعلق يده بساعد (ممدوح) ، ثم ما لبثت أن سقطت بجواره وهو يسلم الروح .

وأحس (ممدوح) بحزن شديد لموت ذلك الشاب الذى شاركه هذه المهمة بكل صلابة وشجاعة .

ثم ما لبث أن تحول حزنه إلى غضب ، جعله يعتلى سطح الدبابة ليصوب طلقات مدفعه نحو الجندى الواقف فى برج الحراسة فيرديه قتيلًا .

ثم فى اتجاه الجنود الذين يحاولون ملاحقة الدبابة .

ولكنه تهاوى إلى الداخل وقد اختل توازنه على إثر هزة قوية ، بدت بالنسبة له كما لو كانت زلزالًا عنيفًا .

وكذلك سقط العقيد (ناصر) على أحد جانبيه .. وقد أفلت منه التحكم فى قيادة الدبابة .

ولمح (ممدوح) أثر جرح فى جبهته ، فقال له بانزعاج :

- هل أصبت ؟

رد العقيد (ناصر) :

- هذا من أثر سقوطى .. المهم الآن أن نسرع بمغادرة

الدبابة .. لقد أصابوها هذه المرة إصابة جسيمة بقذيفة الآر . بى . جيه .. على نحو سيمنعها من الحركة .. وربما امتدت آثار القذيفة إلى خزان الوقود وانفجرت تمامًا .

اندفع (ممدوح) يساعد العقيد (ناصر) على مغادرة الدبابة .. حيث نجحا فى القفز منها ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها قذيفتان أخريان لتدمراها تمامًا .

وأدى انفجار القذيفتين فى جسم الدبابة إلى تحولها لكتلة من اللهب المشتعل .

ورفع (ممدوح) و (ناصر) وجهيهما عن الأرض ، وقد انبطحا أرضًا على مسافة لا تزيد على المترين فى أثناء الانفجار .

وهتف (ناصر) :

- لقد تحولت الدبابة إلى كتلة من الجحيم .

قال (ممدوح) :

- هذا أفضل .. فهى على هذه الحال ستشكل إعاقة مثالية أمام مطاردة جنود الحصن لنا .

وساعد العقيد (ناصر) على النهوض ، قائلًا :

- علينا الآن أن نستغل ذلك ، ونسارع بالفرار .

وبالفعل انطلق (ممدوح) و (ناصر) مبتعدين عن المكان أمام الحصن .. الذى تصاعدت النيران من مواقع مختلفة منه ، وعمت فيه حالة من الفوضى والدمار .

وفى أثناء ركضهم عبر الطريق لمحا سيارات الإطفاء وهى تأتى فى طريقها مسرعة نحو الحصن .

وقال (ممدوح) لـ (ناصر) :

ـ لا بد أن قائد الحصن اتصل بالقيادة العليا ليبلغهم بالأمر .. وهذا يعنى أنه ربما قد أدلى بأوصافنا أيضًا ، حتى يتمكنوا من اعتراض طريقنا ، والقبض علينا فى أثناء هروبنا .

سأله (ناصر) :

ـ وما العمل ؟

رد (ممدوح) :

ـ أعتقد أن ثيابنا العسكرية التى نرتديها لن تفيدنا هذه المرة .

وجلس على الأرض العشبية ، محتميًا ببعض الأشجار ، وهو ينزع كعب حذائه الآخر ، ليتناول منه جهازًا لاسلكيًا صغيرًا قائلًا :

ـ يتعين علينا أن نخطرهم بهروبنا أولًا ، حتى يكونوا فى انتظارنا .. ثم نبحث عن الوسيلة التى تساعدنا على الخروج من هذه المنطقة .

واتصل (ممدوح) بوساطة جهازه اللاسلكى بمقر قيادة الأمم المتحدة ، ليخطرهم بهروبه ونجاحه فى مهمته .

وما إن أنهى اتصاله اللاسلكى ، حتى لمح عربة جيب تجوب المنطقة ، فهمس قائلًا لـ (ناصر) :

ـ كما توقعت .. لا بد أنهم يبحثون عنا .

وهتف العقيد (ناصر) قائلًا :

ـ لقد رأونا بالطبع .

قال له (ممدوح) وهو يقبض على مدفعه الآلى :

ـ إذن فقد أصبحت المواجهة حتمية .

وأشار إلى إحدى الأشجار الضخمة قائلًا ، وهو يتخذ من أخرى ساترًا له :

ـ احتم بهذه الشجرة ، وتهيأ لإطلاق الرصاص .

وقام الجنود الذين كانوا يعتلون السيارة الجيب بإيقافها والقفز منها ليتخذوا منها ساترًا لهم ، وهم يصوبون أسلحتهم فى اتجاه (ممدوح) و (ناصر) . وتبادلوا إطلاق الرصاص من الجهتين .. حيث ازدادت كثافة الطلقات .

ولكن (ممدوح) سارع بالانبطاح على الأرض ، وأخذ يزحف فوق الأرض العشبية ، بعد أن أشار للعقيد (ناصر) لكى يغطى زحفه هذا بإطلاق وابل من الرصاصات الكثيفة .

وتمكن (ممدوح) من أن يعتلى ربوة صغيرة .. جعلته يتمكن من كشف موقع الجنود بصورة أفضل .. ثم فاجأهم

بإطلاق عدة رصاصات محكمة تمكن خلالها من القضاء على اثنين منهم .

وصوب أحدهم عدة رصاصات نحوه فأخفى رأسه سريعًا وراء الربوة الصغيرة .. وقد تطايرت الرصاصات فوقه .

ثم عاد ليبرز برأسه مرة أخرى ، وهو يصوب هذه المرة عدة طلقات سريعة ، استقرت فى خزان الوقود .. فانفجر فى الحال محدثًا دويًا هائلًا .. وقد أطاح بالجنود المحيطين بالسيارة .

وسمع (ممدوح) صوت ضجيج يأتى من بعيد .. وعندما أمعن النظر تبين له أنها سيارة حمراء اللون ، تنطلق بسرعة غير عادية قادمة نحوهما .

وهتف وقد خطرت فى رأسه فكرة سريعة ، قائلًا :

ـ سيارة إطفاء .. ربما كانت هذه هى وسيلتنا الوحيدة للهرب ، وسارع بالهبوط من فوق الربوة ليناذى العقيد (ناصر) ، قائلًا :

ـ اسمعنى جيدًا هناك سيارة إطفاء قادمة فى طريقها إلى الحصن .. علينا أن نوقف هذه السيارة بأى ثمن .. فسوف تكون وسيلتنا للهرب من هذه المنطقة .

سأله العقيد (ناصر) بدهشة :

ـ كيف ؟

رد (ممدوح) :

ـ لا وقت لطرح الأسئلة .. سنستغل اشتعال النيران فى سيارة الجيب ونطلب منهم التوقف لإطفائها .

ووقف (ممدوح) يلوح لسيارة الإطفاء القادمة ، وهو يشير إلى السيارة الجيب المشتعلة ، وتوقفت السيارة حيث قال له سائقها متذمرًا :

ـ ماذا تريد ؟

قال (ممدوح) :

ـ لقد اشتعلت السيارة ونريد إطفاءها .

قال له السائق :

ـ ولكنى فى مهمة عاجلة ، فأنا وزميلى فى طريقنا إلى الحصن لإطفاء النيران هناك .. ثم إن هذه السيارة لم تعد صالحة للاستعمال .

صوب إليه (ممدوح) مسدسه قائلًا بلهجة آمرة :

ـ إذا كان هذا هو رأيك ، إذن دعنا نستعمل سيارتك ، وأردف قائلًا :

ـ وثيابك أيضًا .

وقبل أن يتخلص الرجل وزميله من دهشتهما ، كان العقيد (ناصر) قد تسلق سلم السيارة من الجانب الآخر ، ليصوب إليهما مسدسه بدوره قائلًا :

ـ نفذا ما أمركما به على الفور .

ولم يكن هناك مفرّ من الاستسلام .

* * *



١٤ ـ نهاية الشيطان ..

ارتدى (ممدوح) و (ناصر) ملابس رجال الإطفاء العسكريين ، واستقلا السيارة ليعودا بها من حيث أتت .

وأطلق (ممدوح) سارينة الإطفاء وهو يقترب من المتاريس المعدنية التى وضعها جنود الشرطة العسكرية الشوركاسية :

وما إن لمحهما ضابط الشرطة العسكرية ، وهما قادمان بهذه السرعة حتى أمر جنوده برفع المتاريس الحديدية قائلًا :

ـ دع سيارة الإطفاء تمر .. إنها عائدة من حصن (كوفو) حيث اشتعلت الحرائق هناك .. ولا بد أنها ذاهبة للتزود بالمزيد من وسائل مقاومة الحريق ، وبالفعل قام الجنود برفع المتاريس الحديدية من أمام السيارة ليسمحوا لها بالمرور ، دون أدنى محاولة لاعتراضها :

وهتف العقيد (ناصر) بعد مرور السيارة ، قائلًا لـ (ممدوح) :

ـ لقد نجحنا .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـ تستطيع أن تقول إننا قد نجحنا بنسبة ثمانين فى المائة .. عندما نتمكن من اجتياز الأحراش المحيطة بهذا المكان ، ونصل إلى السفينة التابعة للأمم المتحدة ، نكون قد حققنا النجاح الكامل الذى ننشده :

وقام برفع الغطاء المعدنى ، الذى يقود إلى السرداب السرى الذى أتى منه ليتسلل إليه وبرفقته العقيد (ناصر) ، حيث تمكنا من الصعود إلى المغارة الجبلية المغطاة بالأشجار ، وواصلا طريقهما عبر الأدغال ، بعد أن تخلصا من ثياب رجال الإطفاء :

وطوال الطريق ، أخذ (ممدوح) يحذر رفيقه من الشراك الخداعية التى زرعها الشوركاسيون فى الأدغال .. حتى اقتربا من شاطئ البحر :

ولكن قبل أن يصلا إليه ببضعة أمتار ، أرهف (ممدوح) السمع قائلًا للعقيد (ناصر) :

ـ هل تسمع ؟ لقد أرسلوا خلفنا طائرة هليكوبتر لتعقبنا .

قال العقيد (ناصر) :

ـ نعم .. إنها تقترب من التحليق فوقنا .

قال (ممدوح) :

ـ علينا أن نسرع بالذهاب إلى الشاطئ ، قبل أن تلحق بنا :

ولكن ما إن غادرا مكانهما بين الأشجار ، حتى وجدا الطائرة تحلق فوق رأسيهما وقد انطلق منها وابل من الرصاص .

وعاد (ممدوح) ليجذب (ناصر) من ذراعه ، وهو يعود به إلى الأشجار الكثيفة لكى تحجبهما عن الأنظار ، وتعوق تتبع الطائرة لهما .

وانبطح العقيد (ناصر) على وجهه ، قائلًا لـ (ممدوح) :

ـ إنهم لن يسمحوا لنا بالتوجه إلى الشاطئ .

قال (ممدوح) :

ـ أدعو الله ألا يطلقوا رصاص أسلحتهم على القارب المطاطى الذى أتى لحملنا إلى السفينة .. وأن يتأخروا فى إرساله قليلًا .

قال (ناصر) :

ـ لو أغرقوا ذلك القارب فسنفقد آخر فرصة لنا فى النجاة .

قال (ممدوح) :

ـ هذا إلّا إذا أقدمنا على مخاطرة .

سأله (ناصر) :

ـ أى مخاطرة ؟

وفكر (ممدوح) قليلًا ، وهو متردد قبل أن يقول :

ـ لا .. لا أستطيع أن أعرضك لذلك .. إننى بذلك أعرض المهمة كلها للفشل .

سأله (ناصر) قائلًا :

ـ لا وقت أمامنا .. ماذا تريد أن تقول ؟

قال (ممدوح) :

ـ ربما أمكننى المخاطرة بنفسى .. لكننى لا أستطيع ذلك بالنسبة لك .

وقال له العقيد (ناصر) فى غضب :

ـ مقدم (ممدوح) .. هل نسيت أننى رجل عسكرى ، وقد اعتدت خوض المعارك والمخاطرة بحياتى ؟.. قل ما عندك .

شرح له (ممدوح) فكرته .. وعلى الفور شرعا فى تنفيذها ، حيث اندفع (ممدوح) والعقيد (ناصر) من بين الأشجار وهما يركضان فى خطوات متعرجة حيث انطلقت رصاصات الهليكوبتر نحوهما .

وما لبثا أن تهاويا على الأرض بلا حراك ، وقد سقطت أسلحتهما على قيد خطوات منهما .

ونظر قائد الطائرة إلى الرجلين الممددين على الأرض بلا حراك ، قائلًا لزميله :

ـ يبدو أنك قد نجحت فى قتلهما .

قال له الرجل وهو يقبض على مدفعه الآلى :

ـ علينا أن نتأكد من ذلك .. اهبط بالطائرة .. فهناك أوامر بالعودة بهما أحياء أو أموات .

هبط الطيار بطائرته العمودية فوق المساحة من الأرض التى تفصل بين الشاطئ والأشجار .

وحمل زميله مدفعه الآلى وهو يغادر الطائرة قائلًا له :

ـ كن مستعدًا للإقلاع فى الحال .. وعليك أن تأتى لمساعدتى فى نقلهما إلى الطائرة عندما أشير لك .

قال له الطيار :

ـ سأكون مستعدًا .

واقترب الرجل من (ممدوح) الذى كان منبطحًا على وجهه وقد بدا جثة هامدة ، حيث دفع بمقدمة حذائه أسفل صدره ليقلبه على ظهره .. وإصبعه على زناد المدفع .

وفى اللحظة التى استدار فيها (ممدوح) لينقلب على ظهره .. كان قد نجح فى قذف السكين الحاد الذى احتفظ به فى يده بكل ما لديه من قوة ليستقر فى صدر الرجل ، الذى فوجئ بهذا التصرف المباغت من (ممدوح) ..

وأخذ ينظر إلى السكين المغروس فى صدره بعينين جاحظتين .

وامتدت إصبعه لتضغط على زناد المدفع ، وهو يصوبه إلى (ممدوح) .

لكنه سارع بالتدحرج على الأرض سريعًا لتنطلق الرصاصات فى الرمال .

وقبل أن ينظر الرجل فى اتجاه (ممدوح) ، ليصوب إليه عددًا من الطلقات الأخرى ، كان قد خر جاثيًا على ركبتيه .. وتهاوى المدفع من يده ، ثم سقط على وجهه .

وقبل أن يتأهب زميل الرجل للتدخل ، بعد ما رأى ما حدث ، كان كل من (ممدوح) و (ناصر) قد نجحا فى التقاط سلاحيهما ليصوبا إليه عدة طلقات فى آن واحد ، جعلته يلقى مصرعه بدوره ، داخل طائرته .. التى تهشم زجاجها .

وجلس (ممدوح) و (ناصر) يرقبان القارب المطاطى ، وهو يتهادى فى المياه مقتربًا من الشاطئ .

وما لبث أن حملهما إلى السفينة .

وفى الطريق إلى السفينة كان (ممدوح) قد تلقى إشارة لاسلكية عاجلة من مقر قيادة قوات الطوارئ .

وعندما صعد إلى السفينة ، استقبلهما القائد

النرويجى ، الذى شارك فى تكليفهما هذه المهمة بابتسامة عريضة ، وهو يهنئهما بسلامة العودة من المهمة .

وصافح العقيد (ناصر) قائلًا :

ـ لم نكن نأمل فى أن ينجح ذلك الرجل فى إنقاذك من حصن الشيطان هذا .

قال له العقيد (ناصر) ، وهو ينظر إلى (ممدوح) بامتنان :

ـ لقد بذل جهدًا خرافيًا بالفعل ، وقام بعمل من الأعمال الخارقة هو وزميله ، لمساعدتى على الهرب من حصن الشيطان كما تسميه .

وقال له (ممدوح) :

ـ اذهب الآن يا سيادة العقيد مع هذا الجندى ، لكى تستريح قليلًا فى قمرتك ، حتى نصل إلى مقر قيادة قوات الطوارئ .

ربت القائد النرويجى على كتفه ، قائلًا بأسى :

ـ يؤسفنى ما حدث لزميليك فى هذه المهمة .. كنت أتمنى أن يعود الجميع سالمين .

قال له (ممدوح) :

ـ لقد أدى الرجلان واجبهما على أكمل وجه .. وحفرا اسميهما فى سجل التضحية وأداء الواجب .

أما ما يؤسفنى أكثر ، فهو خيانة البعض .

نظر إليه القائد النرويجى بدهشة ، قائلًا :

ـ خيانة البعض ؟.. ماذا تعنى بذلك ؟

رد (ممدوح) :

ـ أعنى أن يكون هناك رجل عسكرى .. ترى فيه بلاده أنه يحوز من الصفات ما يؤهله لكى يشرفها ضمن صفوف قوات الأمم المتحدة .. ثم يبيع نفسه للشيطان ، مقابل مبلغ من المال .. ويكون الثمن هو آلاف الأرواح من الأبرياء غير المتأهبين للقتال .. ومن القوات الدولية التى أصبح ينتمى إليها ، فذلك يعدّ من أسوأ أنواع الخيانة للشرف والضمير والإنسانية .

سأله القائد النرويجى :

ـ لا أدرى ما الذى تعنيه بذلك .

قال له (ممدوح) ، وهو يرميه بنظرة احتقار .

ـ أعنى أننى قد اكتشفت خيانتك يا كولونيل (جوزيف) .

تراجع الرجل خطوة إلى الوراء ، وهو يتطلع إلى (ممدوح) بدهشة قائلًا :

ـ هل ترمينى بالخيانة ؟

ردّ عليه (ممدوح) :

ـ نعم .. ولدى ما يؤكد ذلك .. إن ما لم تعرفه ، وتم إخفاؤه عنك وعن الآخرين ، هو أن المهمة الرئيسية لى ، لم تكن إنقاذ العقيد (ناصر) ، وإقامة الدليل على تورط الشوركاسيين فى خيانة اتفاقاتهم الدولية فحسب ، ولكن كشف حقيقة العميل الذى يعمل لحساب الشوركاسيين ، بين صفوف القوات الدولية .. وهو الأمر الذى تم الاتفاق عليه بينى وبين الجنرال (لوركا) وقد تأكدت من أن اسم العميل هو (جوزيف) ، ولم أصدق فى البداية أن يكون هذا الشخص هو أنت .. لكنى تمكنت من التقاط الموجة اللاسلكية التى يتم الاتصال بوساطتها بينك وبينهم .. والشفرة التى تتعاملون بها .. وقمت بإخطار قيادة القوات الدولية بها ، عن طريق الفريق السرى الذى يتولى هذه العملية ، تحت قيادة الجنرال (لوركا) .

وقد قاموا بتتبع الموجة اللاسلكية .. وتحرى الحقيقة حول ما إذا كان اسم (جوزيف) هو مجرد اسم حركى أم أنه يعنى اسمك الحقيقى .

وتم تفتيش حجرتك ، أثناء غيابك .. وقبل أن تتخلص من جهاز اللاسلكى . حيث اكتشفوا مكانه ، وكذلك اكتشفوا كتاب الشفرة الذى تتعامل به مع الشوركاسيين .

ثم قاموا بإخطارى بذلك فى أثناء نقلى فى القارب المطاطى إلى السفينة .. فقد تم إخفاء الحقيقة عنك حتى النهاية ، وأوهموك بأنهم لم يحصلوا على أى معلومات بشأن حقيقة العميل الذى يعمل بين صفوفهم ، والذى كان الجميع يعلمون بوجوده دون أن يعرفوا حقيقته .

وللمبالغة فى التمويه عليك ، وكسب ثقتك ، جعلوك تشرف على العملية كما كان مخططًا لها منذ البداية ، وتأتى بنفسك لنقلنا بتلك السفينة إلى مقر القيادة .

لقد تم اكتشاف حقيقتك وانتهى أمرك يا كولونيل (جوزيف) .

قال له (جوزيف) بتحدّ :

ـ ولكننى لم أفقد نفوذى بعد أيها المقدم .. فما زلت قائدًا لهذه السفينة ، وأستطيع لو أردت أن آمر بإلقائك أنت وزميلك للأسماك ، ثم نادى اثنين من الجنود قائلًا لهما :

ـ أقبضا على هذا الرجل .

اقترب منه أحد ضباط القوات الدولية ، قائلًا :

ـ آسف يا كولونيل .. فلدينا أوامر بأن يتولى المقدم (ممدوح) قيادة السفينة ، ونحن لن نتلقى أوامرنا إلا منه .

وجن جنون الرجل .. فأخرج مسدسه ، وهو يصوبه إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ إذن سأتولى الأمر بنفسى .

ولكنه وجد فوهتى بندقيتين تلتصقان بظهره من الخلف ، وصوت صارم يأتيه من الخلف ، قائلًا :

ـ ألق بسلاحك يا (جوزيف) وإلا لقيت حتفك فى الحال .

وألقى (جوزيف) بسلاحه مضطرًّا وهو يستدير ، ليجد أمامه جنديين يصوبان سلاحهما إليه ، وخلفهما الجنرال (لوركا) .

فهتف :

ـ جنرال (لوركا) هل كنت موجودًا على ظهر السفينة ؟

قال له الجنرال بهدوء :

ـ طوال الوقت .. ودون أن تدرى .. حتى أرى بعينىّ دليل خيانتك ، ونكّس (جوزيف) رأسه مستسلمًا ، فى حين أمر الجنرال (لوركا) الجنود قائلًا :

ـ اقبضوا عليه واسجنوه فى إحدى قمرات السفينة ، حتى نصل إلى مقر القيادة .

واصطحب الجنود (جوزيف) إلى حيث أمرهما الجنرال .. الذى تحول إلى (ممدوح) قائلًا :

ـ يؤسفنى أن تكون هذه نهاية رجل عسكرى .

هزّ (ممدوح) رأسه أسفًا ، وهو يقول :

ـ وأنا أيضًا .

ومدّ الجنرال (لوركا) يده لمصافحته ، قائلًا :

- أهنئك على ما قمت به من عمل جليل على كل حال .. وأعتقد أن عملك هذا سيكون له تأثير بالغ على تغيير خريطة هذه المنطقة ، ووضع نهاية لشرور الشوركاسيين .. ولو علم البورسال ذلك ، لأقاموا لك نصبًا تذكاريًا فى هذه البقعة من الأرض .

صافحه (ممدوح) قائلًا :

- إن كل ما أبغيه ، هو أن يعود الحق إلى نصابه .

قال له الجنرال (لوركا) :

- لا بد أنك تريد الآن أن تستريح .

تطلع (ممدوح) إلى مياه البحر الممتدة أمامه ، قائلًا :

- سأكتفى بمقعد صغير فى أحد أركان السفينة لتأمل هذه المياه الصافية ، حتى نصل إلى مقر القيادة .

ابتسم الجنرال (لوركا) قائلًا :

- ستقوم طائرة خاصة بنقلك إلى القاهرة .

التقط (ممدوح) نفسًا عميقًا ، وشرد ببصره لحظات ، قبل أن يقول :

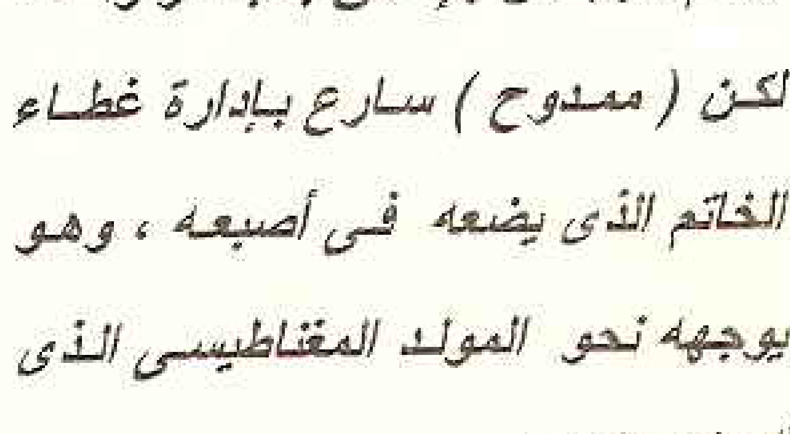
- يسعدنى هذا .. فقد اشتقت إلى وطنى .. اشتقت إليه كثيرًا .

وبدأت السفينة رحلة العودة ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠


الحصن المنيع

وهمَّ الرجلان بإغلاق باب الزنزانة ، لكن (ممدوح) سارع بإدارة غطاء الخاتم الذى يضعه فى أصبعه ، وهو يوجهه نحو المولد المغناطيسى الذى ألصقه بالباب .

٦٨

المؤلف



ا . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

العدد القادم

إنتقام الشبح

الثمن فى مصر
١٠٠
وما يعادله بالدولار الامريكي فى سائر الدول العربية والعالم